


مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف و الترجمة، بنارس

| المجلد (٤٦) | ذو القعدة ١٤٣٥ﻫ |
| --- | --- |
| العدد التاسع | سبتمبر ٢٠١٤ م |

المشـرف العام: عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

| ☆ عنوان المراسلة: | صـوت الأمـة: بى ١ / ١٨ جى، ريورى تـالاب، بنـارس، الهند<br>The Editor, Sautul Ummah<br>B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA) |
| --- | --- |
| ☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم: | دار التاليف والترجمة<br>Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA**<br>Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI<br>A/c No.: **21044906358**<br>IFSC Code: **ALLA0210547** |
| ☆ الاشتراک السنوي: | في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة |

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org


المنشــور لا يعبــر إلا عــن رأي كاتبــه

# محتـــويـــــات الـعـــدد

| العنـــــــوان | الصفحـة |
|---|---|
| الافتتاحية: | |
| ١– القضية الفلسطينية: حقائق وأبعاد | |
| أسعد أعظمي بن محمد أنصاري | ٣ |
| الدعوة الإسلامية: | |
| ٢– الصفات الباعثة للحكمة | |
| د. صالح بن عبد الله بن حميد | ٩ |
| السنة النبوية: | |
| ٣– الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه | |
| صالح بن محمد بن عبد الفتاح | ١٤ |
| سمو الإسلام: | |
| ٤– مكانة الإنسان في القرآن الكريم | |
| محمد جينادن | ٢٤ |
| علوم القرآن: | |
| ٥– مراتب القراء ة وبيان الرواية التي نقرأ بها | |
| د. محمد خالد منصور | ٣٧ |
| أعلام السنة: | |
| ٦– المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني ...... | |
| أسعد أعظمي بن محمد أنصاري | ٤١ |
| الفقه الإسلامي: | |
| ٧– حكم تلقين الميت | |
| الشيخ عبيد الله المباركفوري | ٤٦ |
| سفر الحج: | |
| ٨– المسافرون إلى الله تعالى | |
| د. لطف الله ملا خوجه | ٥٣ |
| من أخبار الجامعة: | |
| ٩– من أخبار الجامعة السلفية بنارس | ٦٠ |

الافتتاحية

# القضية الفلسطينية

## حقائق وأبعاد

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

لا تهدأ الأوضاع في فلسطين إلا لتبدأ من جديد مأساة الفلسطينيين الذين قدموا من خلال تاريخهم الطويل تضحيات جسدية ومالية وعقارية استعصى على العادين عدها وإحصاؤها، ولولا رحمة الله بهم ورعايته لهم لقضي عليهم بالفناء، وتحققت أمنية الأعداء في إبادتهم وتدميرهم وإعفاء آثارهم.

إن قضية فلسطين تعتبر أهم القضايا الإسلامية على مستوى العالم على الإطلاق، والحديث عنها ذو شجون. ولها أبعاد ودلالات، وهي تحتوي على غرائب لا ينقطع عنها العجب. وأغرب ما في القضية تلك المعادلة المعكوسة التي تحكي قصة مأساة المسلمين وعجزهم واستكانتهم.

- فأمة ذات ملايين تحارب أمة ذات المليار والنصف، وتذيقها الويلات، وتكون دائما في حالة الغلبة والانتصار.
- دولة واحدة في مقابل ستين دولة، وتلك الستون في حالة كمال العجز والاستسلام أمام الواحدة.
- أمة واحدة ودولة واحدة محاطة من جوانبها الأربعة بالمخالفين والأعداء، أفراد وحكومات، ذات العَدد والعُدد، وليست مصونة فحسب، بل في رقي وازدهار وقوة وتمكن ونفوذ.
- نسبة القتلى والجرحى بين الطرفين في الاشتباكات المتجددة بين حين وآخر هي الأخرى تبعث على التفكير. إذ تكون النسبة في الغالب: نحو مائة قتيل مسلم مقابل قتيل يهودي واحد. وألف جريح مسلم مقابل نحو عشرة جرحى من اليهود. وقد يقتل مئات المسلمين الفلسطينيين لفك رهين يهودي واحد من أيديهم. وهكذا.

- دولة واحدة تلعب بقرارات الأمم المتحدة أمام أكثر من مائتي دولة بما فيها ستون دولة إسلامية، وهي كلها تلزم الصمت وتؤثر السكوت.

إلى آخر تلك السلسلة من المعادلة الباعثة على الحيرة والاستعجاب.

والسؤال الذي يعقبه هو: هل حصل كل ذلك مصادفة؟ أم كان وراءه عمل منظم، وتخطيط دقيق، ونفس طويل، ومتابعة مستمرة، وتضحية متواصلة للوقت والجهد والنفس والمال؟

والجواب على هذا السؤال هو الذي يحدد ما إذا كان بالإمكان تغيير الوضع الراهن واستعادة الأرض والأمن بالنعرات والمظاهرات والندوات والمؤتمرات وبيانات الشجب والتنديد والإنكار. أم يحتاج الأمر إلى عمل منظم، وتخطيط دقيق، ونفس طويل، ومتابعة مستمرة، وتضحية متواصلة للوقت والجهد والنفس والمال، سواء بسواء، بل أشد وأكثر.

إن الهجوم العنيف من قبل دولة صهيون على الفلسطينيين العزل في الأيام الماضية لم يكن أمرا طارئا ومضى، سواء كان مضيه بالضغوط الخارجية، واحتماله أقل، أم لأخذ بعض الراحة وتنفس الصعداء وإعادة ترتيب الأمور. وإنما هو جزء من المخطط الطويل ومرحلة من مراحل بعث الرعب وإظهار القوة وفرض الهيمنة.

هل يعي المسلمون أفرادا وحكومات أبعاد القضية وجذورها وملابساتها وتاريخها وتطوراتها، حينما ينطلقون في المظاهرات والمسيرات، وحينما يطلقون بيانات الشجب والإنكار وهل يعتقدون أن مسؤوليتهم تنتهي إلى ذلك. وأن الهدوء الذي تشهده المنطقة لبعض الوقت يمنحهم الإذن للاستمرار في الغفلة واللامبالاة.

إنني لا أحكم على هذه البيانات والمظاهرات بالتأييد أو المخالفة، وكل ما أريد أن ألفظه وأجهر به هو أن لا يغمض أفراد المسلمين وحكوماتهم أعينهم عن الحقائق التاريخية والواقعية، فإسرائيل قائمة كدولة منذ أكثر من نصف قرن سبقه نحو نصف قرن أو أكثر في الإعداد والتخطيط والتدبير. وقد قامت ولا زالت تقوم بتحصينها أمنيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا وإعلاميا الخ، وهي تدرك بالأخطار المحدقة بها لموقعها الجغرافي، ولقيامها على أرض مغصوبة نزعت ظلما من أهلها المالكين لها عرفا وشرعا وتاريخا. ولأجل هذا وذاك تعتبر نفسها دائما في حالة الحرب،

وتدارس كل الأوضاع من حولها بدقة متناهية، وتضع كافة أجهزتها ووسائلها الأمنية أو الحربية في حالة طوارئ قابلة للاستخدام الفوري، بل لا تتردد في الهجوم على مواقع على أدنى توهم أو شك، وتخترق لذلك القوانين الدولية.

ومن خلال مائة سنة أو أكثر بسطت نفوذها في السياسة العالمية بأساليبها الماكرة، وفرضت هيمنتها على الدول الكبرى والصغرى، وتغلغلت في شؤونها الداخلية والخارجية، فهي تديرها بأصابعها الخفية، وتخضع رقاب قادتها وحكامها بالترغيب والترهيب لكل ما فيها مصلحتها، فلا ينطقون إلا ما تملي عليهم، ولا يتصرفون إلا حسب أوامرها ونواهيها. أما المخالف أو المجترئ على خلافها فعليه أن ينتظر مصيره المجهول ونهايته ذات العبر والدروس.

وقد سيطرت على الإعلام العالمي بكافة وسائله وآلاته، فهو الآخر يخدم مصالحها ويحقق أهدافها المشروعة منها وغير المشروعة، ويعلي أصواتها، الصادقة منها والكاذبة، وقد تفننت في استخدام الإعلام كأداة حرب بينها وبين بقية شعوب العالم واستغلته أيما استغلال، فالحرب القائمة بينها وبين أعدائها تعتمد في نجاحها إلى حد كبير على امتلاكها زمام وسائل الإعلام وتغلبها عليها. وبروتوكولات حكماء صهيون تضم نوايا القوم ومخططاته المتعلقة بالإعلام ووسائله المتنوعة. والوضع الحالي للإعلام أصدق دليل على أن هذه المخططات نفذت حرفيا وزيادة، وآتت أكلها وأثمرت ثمارها ولا تزال، فهل نحن الذين نسعى لرفع أصواتنا واسترداد حقوقنا على وعي بهذه الحقيقة المرة، وعلى استعداد للفت أنظارنا وتوجيه عنايتنا إلى هذا الجانب المهم، واستخدام هذا النوع من السلاح الذي يفوق في تأثيره كل الأسلحة التقليدية؟

وإذا ذهبنا نبحث في امتلاك القوم ناصية الاقتصاد العالمي فهو أيضا يبعث على الحيرة والاستعجاب، فالحرص على الدنيا وحب المال مستقر في قلوبهم وأذهانهم حتى أصبح طبيعة لهم لا ينفكون عنها. والقرآن الكريم قد نطق في عديد من آياته حكاية جشعهم وحرصهم على المال والمادة. ولا شك أن المال والتجارة هما عصب الحياة، وبهما قوامها. فاليهود بمكرهم ودهائهم خططوا للاستيلاء على أموال الشعوب ومواردها، فأوجدوا أنظمة مالية تخدم مصالحهم ومخططاتهم، وفي الوقت نفسه تترك بقية الشعوب والأمم في حال الفقر والبطالة. وقد سلكوا مسالك عديدة تضمن غلبتهم على

الاقتصاد العالمي والتجارة العالمية بحيث تبقى بقية الأمم والشعوب عالة عليهم لا حراك لها بدون إذن ورضا منهم.

ومن الوسائل والطرق التي يستخدمها اليهود لتقليل خطر المقاومة من الآخرين إضعاف الأفراد والجماعات جسديا وفكريا، وخاصة فئة الشباب من الفتيان والفتيات، وذلك بإغراقهم في الجنس والمخدرت، حيث عكفوا على إيجاد أحدث وسائل نشر الرذائل والخلاعة والمجون، وتسهيل سبل إيصالها إلى الأيدي والأبصار، كما تفننوا في سبل ترويج المخدرات بكافة أنواعها، إلى جانب نشر مختلف وسائل اللهو واللعب. والقصد من كل ذلك إغراق الشعوب في الرذيلة والتفاهة وسفاسف الأمور، وجعلها عبدة الشهوات والملذات، حتى لا تلتفت إلى معالي الأمور، ولا تتفكر في استعادة المجد والقوة والعزة والشرف، وتبقى مقاليد كل أنواع السلطة بيد اليهود، يتلاعبون في مصائر الأمم، ويحكمون العالم آمنين مطمئنين.

وهناك وسائل وأساليب معلنة وخفية قديمة وحديثة لسنا بصدد حصرها وإحصائها، تستخدمها إسرائيل، ويستخدمها اليهود لضمان سلامتهم وللاستمرار في غيهم وغطرستهم وطغيانهم، ولإفشال كل الجهود التي ترمي إلى الحد من تمردهم وبطشهم ومكرهم وكيدهم. فبهذه الوسائل والأساليب وغيرها نجحت إسرائيل في البقاء بسلامة في قلب العالم الإسلامي منذ أكثر من نصف قرن، وهي غصة في حلقوم أكثر من مليار ونصف مليار مسلم في العالم، الذين رغم عَددهم وعُددهم يجدون أنفسهم مكتوفي الأيدي أمام الأوضاع الصعبة التي يمرون بها.

والقصد من عرض هذه الحكاية الطويلة المريرة المضحة المبكية هو طرح سؤال أمام أفراد الأمة وقادتها الذين يحلمون برؤية راية الأمن والعدل والسلام ترفرف على الأرض المقدسة: ماذا أعددنا لإزالة الحواجز والعقبات التي نصبها العدو في هذا الطريق؟ وما هي وسائلنا ومخططاتنا لمقاومة مخططات العدو وشبكاته التي نصبها هنا وهناك مما تقدم ذكر بعضها في الأسطر السابقة؟ وهل كلنا نسير لتحقيق هدف واحد هو استعادة القدس والأقصى واستعادة مجد الأمة ورفعتها، أم إن بعضنا يعمل

على تحقيق أهداف العدو بعلم أم بغير علم؟ وماذا عندنا غير الشجب والتنديد والاستنكار والمظاهرات والمسيرات؟ والدعوات الخالصة المصحوبة بموانع القبول وعوائقه ما نعلم منها وما لا نعلم؟

ولنتدبر معا في ما ذكره القرآن الكريم من صفات القوم وانطباقها – وللأسف الشديد – علينا، قال تعالى:

{ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا .... آل عمران: ١١٢}.

{بأسهم بينهم شديد. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى – الحشر: ١٤}

{لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله – الحشر: ١٣}.

وحينما ننظر في أحوالنا التي يرثى لها نتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها".

فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟

قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنم غثاء كغثاء السيل،

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم،

وليقذفن في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟

قال: "حب الدنيا وكراهية الموت". (رواه أبوداود والبيهقي، وصححه الألباني)

ثم إنه يجب أن نكون على علم ويقين بأن كل ما تتخذه إسرائيل من الإجراءات الوقائية المنيعة لأمنها ووقايتها مهما كانت في الدقة والقوة فهي ضعيفة وهزيلة أمام قدرة الله وبطشه وجبروته وقوته. فأين الآن ذلك الطاغية التي نادى بقوله: "أنا ربكم الأعلى"؟ وأين أولئك المتغطرسون الجبارون الذين كانوا يتحدون بقولهم: "من أشد منا قوة"؟

إن الله جل وعلا قد وعد – ووعده حق – بأنه ينصر أولياءه والمؤمنين به:

{إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد – غافر: ٥١}

ولكن نصره مربوط بشرط:

{ولينصرن الله من ينصره – الحج: ٤٠}

إن الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة في الابتعاد عن شرع الله والانغماس في أنواع المعاصي والشهوات نذير خطر أكبر مما هي فيه الآن، إذا لم تراجع حساباتها، وترجع إلى ربها ودينها وعقيدتها وإيمانها، وتعد نفسها لاستحقاق نصر الله وحمايته. فإن سنن الله تجري وفق نظامها وقانونها.

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد:

"أمابعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، فإن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم. فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نُنصَر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا، فلن يسلط علينا. فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل – لما عملوا بمساخط الله – كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم ...." (العقد الفريد: ١ / ٤٠).

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفق المسلمين للعودة إلى رشدهم ولتحكيم كتاب ربهم وسنة نبيهم، وانصرهم اللهم على عدوك وعدوهم، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

# الصفات الباعثة للحكمة

د. صالح بن عبد الله بن حميد

**إشارات في حلية الداعي من الصفات الباعثة للحكمة:**

قبل الخوض في الكلام على الحكمة ومفهومها ، وبناء على الإشارات السابقة من معنى الحكمة ، وما يحتاجه صاحب الدعوة من سلامة التفكير واعتدال القوى والبعد عن العصبية والمكابرة.

أحب أن أشير إلى بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعي، فمنها بتوفيق الله – تتبعث الحكمة ويتحقق المقصود من تبليغ الحق على بصيرة. ومن ذلك:

أ – التقوى:

ويقصد بها كل معانيهامن فعل المأمورات وترك المنهيات والتحلي بصفات أهل الإيمان. فتقوى الله بشمولها إذا رزقها العبد ، فإنها تنير القلب وتفتح المدارك، ويستبصر بها موهوبها مواطن الحق، ويهتدي بها إلى الوسائل والأساليب الصحيحة الملائمة للظروف والأحوال والأشخاص، فالعاقبة للتقوى: {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا}[1]. وأولياء الله هم المتقون.

ب – الإخلاص:

وهذا باب عظيم معلوم نظريا ولكن تحقيقه – والله – إنه لعزيز. ومن حقق هذه الصفة لم يلتفت إلى نظر الناس ولا إلى أشيائهم أو تلمس مراضيهم، ويحضرني هنا قول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: أن بعض الناس يدعو إلى الله وهو إنما يدعو إلى نفسه.

---

[1] سورة الطلاق الآية ٤.

وأعظم الناس مطالبة بهذه الخصلة وأشد الناس حاجة إليها العلماء والدعاة. ومن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة من ضيع هذه الخصلة، ولقد قال الغزالي رحمه الله في الإحياء محذرا من الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي:

(إن الداعي قد يرعى حين الدعوة والقيام بها عز نفسه بالعلم والدين، وذل غيره بالجهل والتقصير، فربما قصد بالدعوة إظهار التميز على غيره، وإذلال المدعو بإشعاره – ولو من طرف خفي – بالجهل وخسة أهل الجهل والتقصير وسوء حال المقصرين).

قال: (وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة، وغرور للشيطان يطوق به كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه، وفتح بصيرته بنور هدايته. فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة).

ولم يقتصر الغزالي رحمه الله على هذا الإيضاح بل زاد في بيان المعيار والمحك في ذلك حيث قال:

(وهناك محك ومعيار ينبغي أن يمتحن الداعي به نفسه، وهو أن يكون قيام غيره بالدعوة وإصلاح الناس واستجابتهم لغيره أحب إليه من استجابتهم له. فإن كان يود أن يكفيه غيره فهو على خير، وإن كان لا يحب ذلك لغيره من أهل العلم والدعوة فما هو إلا متبع هوى نفسه، متوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة دعوته. فليتق الله تعالى فيه وليدع أولا نفسه) ([1]).

لكن قوله: (أن يكون دعوة غيره أحب إليه من دعوته بنفسه) هذا عندي محل نظر وبخاصة مع قوله عليه الصلاة والسلام: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" ([2]).

فالتنافس في هذا تنافس على الخير، ومع قوله تعالى: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ..} ([3]).

ويتلمس الإخلاص وصلاح النية في غير المنافسة المشروعة.

---

[1] بتصرف وحذف، الإحياء: ٢ / ٣٢٩، وما بعدها.

[2] متفق عليه من حديث سهل بن سعد.

[3] سورة فصلت الآية ٣٣.

ج – العلم:

وهو المقصود الأعظم من البصيرة في قوله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة} ([1]).

بل إن معاني الحكمة البارزة – التي نحن بصدد الحديث عنها – العلم كما سبق.

فالبصيرة تجمع العلم والحكمة، وهذه الخصلة لا تحتاج إلى مزيد من بسط، فهي معلومة ظاهرة، ويكفي في هذا التنبيه إلى ترجمة البخاري رحمه الله في صحيحه حين قال: باب العلم قبل القول والعمل مستدلا بقوله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك} ([2]).

قال رحمه الله: (فبدأ بالعلم قبل القول والعمل).

وفي هذا يقول الحسن البصري رحمه الله: (العامل بغير علم كالسائر على غير هدى).

وفي مأثور الحكم: (من تمسك بغير أصل ذل، ومن سلك طريقا بغير دليل ضل).

ويشمل العلم الفهم الدقيق لما جاء في الكتاب والسنة، وسير السلف الصالح، وفهوم أهل العلم والفقه علما وعملا.

د – التواضع:

من طبائع الناس أنهم لا يقبلون من يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم أو استصغارهم، ولو كان ما يقوله حقا وصدقا. بل إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه.

ومن أجل هذا فإن التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس. يقول الخليفة أبوبكر رضي الله عنه: (لا يحتقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير) وقد خاطب الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله:

---

[1] سورة يوسف الآية ١٠٨.

[2] سورة محمد الآية ١٩.

{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم} ([1]).

ويقول ابن الحجاج: (من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ....).

ومما يلحق بهذا الباب العلم بأن من طبائع النفوس النفرة ممن يكثر الحديث عن نفسه أو يستجلب الثناء عليها أو يستدر لها المديح.

فالفضل من الله، ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه.

هـ - الحلم:

ما الحلم إلا ضبط النفس عند الغضب، والنزوع إلى العقل عند ثورة الانفعال. وما هذا – وربك – إلا شارات القوة وعنوان البطولة (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) ([2]).

ومن أحوج بهذا الخلق من رجل الدعوة الذي ميدانه صدور الرجال ونفوس البشر.

ومن أبرز صور الحلم .. كظم الغيظ .. ثم يعقبه في الترقي العفو عن الناس، وتلك صفات المتقين أهل الجنة التي عرضها السماوات والأرض.

ومن رزق الحلم ترقى في درجاته .. فيصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه.

ويخطئ من يظن أن الحلم عجز، وأن العفو ضعف، وأن الإعراض عن الجاهل خوف وخور. ولا يقول ذلك إلا من تأخذه العزة بالإثم، وهو خلق ذميم يتنافى مع الحلم كما ترى.

خرج زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنه وعن آبائه من المسجد يوما فسبه رجل فانتدب الناس إليه. فقال: دعوه. ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل إذا رآه قال: إنك من أولاد الأنبياء.

---

[1] سورة الكهف الآية ٢٨.

[2] متفق عليه من حديث سهل بن سعد: ١٠٨.

**الغلظة والفظاظة:**

عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال: يعجبني من القراء ([1]) كل سهل طلق مضحاك، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس ([2]) يمن عليك بعلمه فلا كثر الله في الناس أمثال هؤلاء.

أيها الدعاة! الناس في حاجة إلى كنف رحيم وبشاشة سمحة. بحاجة إلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم. بحاجة إلى من يحمل همومهم، ولا يثقل عليهم بهمومه .. يجدون في رحابه العطف والرضا.

من أجل هذا جاءت الرحمة الربانية لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الرسول القدوة: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم} ([3]).

فما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري. وأعطاهم كل ما ملكت يداه، وما نازعهم في شيء من أعراضهم، وسعهم حلمه وبره وعطفه.

حينما يوهب العبد قلبا رحيما وطبعا رقيقا مع العلم والحكمة .. فإنه لا يستكثر على الصغير والجاهل أن يصدر منهما صدود عن النصح، والدنيا مليئة بمن لا يحبون الناصحين.

نعم إن الداعي الحق ذا الخبرة والمراس لا يعجب من صدود الناس ونفرتهم .. لكن رحمته بهم وشفقته عليهم لا تنفك تغريه بمعاودة الكرة تلو الكرة، كما يعاود الوالدان الحريصان على أولادهما في الإلحاح بالغذاء والدواء في حالي الصحة والمرض. بل لقد جاء في حديث أخرجه أبوداود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده".

وهل رأيت، أعظم شفقة من الوالد على ولده. وكم قابل محمد صلى الله عليه وسلم إعراض قومه بابتهاله النبوي: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

❖❖❖

---

[1] القراء: العلماء.

[2] ضرس: أي شرس لفظا ومعنى.

[3] سورة آل عمران الآية ١٥٩.

# الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه

للإمام الحافظ علي بن داود بن العطار الشافعي تحقيق: صالح بن محمد بن عبدالفتاح

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد:

فمن أنواع علوم الحديث الحديثُ المسلسل وهو: "ما تتابع رواة إسناده واحدا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة" [١]. ومن أشهر الأحاديث المسلسلة وأصحها [٢] حديث الرحمة "الراحمون يرحمهم الرحمن" المنعوت بالمسلسل بالأولية، وذلك لتتابع الرواة على إسماعه وسماعه قبل أي حديث، وقد أفرد بمصنفات كثيرة إلى يومنا هذا، ومن بين تلك المصنفات مجلس للحافظ علاء الدين العطار، خلت كل المصادر التي ترجمت له عن ذكره، وقفت عليه وأنا أتصفح مخطوطات موقع وزارة الثقافة التركية ساق فيه أسانيده إليه، ثم أتبعه بالكلام على بعض رواته ومتنه. ومن أهم ما يقف عليه المطالع لهذه الرسالة على صغر حجمها بعد الوقوف على تواريخ سماع المؤلف من بعض شيوخه وأماكنها – الوقوف على بعض آراءه الاعتقادية، وتبين متابعته لأهل السنة والجماعة – كما يظهر من كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم "يرحمكم من في السماء".

أما مؤلف الكتاب [٣]:

---

[١] علوم الحديث لابن الصلاح (ص ٢٧٥). وانظر فتح المغيث للسخاوي (٣ / ٤٣٢).

[٢] انظر فتح المغيث للسخاوي (٣ / ٤٣٦).

[٣] اقتبست تلك الترجمة من الدرر الكامنة لابن حجر (٣ / ٥ – ٧)، وقد ترجم له جماعة، من أولهم أخوه من الرضاعة شمس الدين الذهبي في كثير من كتبه، منها: معجم الشيوخ (٢ / ٧ – ٨). وقد قام الدكتورمحمد بن الحسين السليماني بكتابة دراسة نفيسة عن حياته، وآثاره في مقدمة أدب الخطيب للمؤلف. وانظر أيضا مقدمة الشيخ مشهور حسن لتحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين. وقال الدكتور جمال عزّون – حفظه الله تعالى – في مقدمة تحقيقه لتساعياته (ص ٧): "... وثمة دراسة وافية عن المؤلف تعمل عليها د. عائشة السليماني في مقدمة تحقيقها لكتاب المؤلف الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد".

فهو علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن العطار الدمشقي تلميذ النووي، ولد سنة (٦٥٤هـ).

وسمع بالحرمين ونابلس والقاهرة من عدة أشياخ يزيدون على المئتين، وخرّج له أخوه لأمه من الرضاعة الشيخ شمس الدين الذهبي معجما، وهو الذي استجاز للذهبي سنة مولده فانتفع الذهبي بعد ذلك بهذه الإجازة انتفاعا شديدا.

ونسخ الشيخ علاء الدين الأجزاء، وكتب الطباق، وغلب عليه الفقه.

وصحب الشيخ محي الدين النووي، واشتغل عليه، وحفظ التنبيه بين يديه حتى كان يقال له مختصر النووي، وقد يختصر فيقال المختصر، وأصيب بفالج سنة (٧٠١هـ)، وكان يحمل في محفة، ويطاف به، وكتب بشماله مدة.

ووَلي درس الحديث بالنورية والقوصية والعلمية.

قال الذهبي: كانت له محاسن جمة، وزهد وتعبد، وأمر بالمعروف، على زعارة كانت في أخلاقه، وله أتباع ومحبون.

ومات رحمه الله في مستهل ذي الحجة سنة (٧٢٤هـ).

وأما نسخة الكتاب الخطية فهي نسخة خطية نفيسة تقع في أربع ورقات، كتبت بخط نسخي واضح، في حياة المؤلف، سنة اثنتي عشرة وسبع مائة (٧١٢هـ) [١].

قرأها عليه جماعة، منهم: ناسخ النسخة [٢] محمد بن سليمان [٣] بن داود الجوهري الشافعي، وأثبت خطه عليها مصححا لطبقة السماع. ولا شيء أدل على إثبات صحة نسبتها إليه من ذلك.

---

[١] لم يُذكر تاريخ النسخ في ختام النسخة، وإنما استقيته مما استطعت قراءته من طبقة السماع المثبتة على صفحة العنوان، فإن قيل ذاك تاريخ سماع النسخة لا تاريخ نسخها، ويحتمل أن يكون تاريخ النسخ قبل ذلك، قلت هذه النسخة يظهر أن المؤلف أملاها، ثم كتبها الناسخ في مجلس الإملاء، ثم سمعها على مؤلفها إما في نفس اليوم أو بعده بأيام لا تعدو أن تكون خارج السنة المذكورة والله أعلم.

[٢] لم يذكر اسم الناسخ في ختام النسخة، وإنما ذكر في طبقة السماع أنه (كاتب الجزء) فاستفدته منها، والحمد لله.

[٣] كلمة (سليمان) لم أستطع قراءتها من الطبقة واستدركتها من فهرسة النسخة بالموقع.

وهـي محفوظـة ضـمن مجموعـة (Milli Kutuphane Yazmalar Koleksiyonu) المودعة ضمن مكتبة (Milli Kutuphane-Ankara) بتركيات تحت رقم (١٧٤٧).

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى النفع بها، كما أسأله الرحمة لمؤلفها وقارئها ولنا ولوالدينا ومشايخنا، إنه غفور رحيم جواد كريم، وصلى الله على محمد وآله.

صالح بن محمد عبد الفتاح بن عبد الخالق

باحث بقسم المخطوطات

بدار الكتب المصرية العامرة حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ الإمام العالم، المفتي الحافظ، المحقق الضابط، علاء الدين أبوالحسن علي بن إبراهيم بن داود العطار الدمشقي الشافعي – أثابه الله الجنة – وأخبرنا به يوم الأربعاء ثاني جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، بدار [....] [1]، وهو أول حديث سمعناه منه مسندا.

أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي رحمه الله قراءة عليه، وأنا أسمع في يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رمضان سنة سبع وستين وست مائة، وهو أول حديث سمعته منه.

وحدثنا الإمامان المفتيان أبوا محمد، أبوا الفرج: عبد الرحمن بن الشيخ القدوة أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، وابن سلمان [....] سعيد البغدادي – وهو أول حديث سمعته من لفظهما – قالوا:

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد الكِندي اللغوي قراءة عليه ونحن نسمع، قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الفرضي البزاز، وهو أول

[1] ما بين المعكوفتين كلمة ضائعة من الأصل بسبب آثار الترميم الحديثة التي خضع لها، وهكذا أصنع في كل موطن ضاع من الأصل ولم أستطع استنتاجه – إن شاء الله تعالى – وأكتفي بالتنبيه هنا.

حديث سمعته من لفظه، وذلك في ثاني عشر صفر من سنة اثنين وثلاثين وخمس مائة ببغداد، حدثني القاضي [...] أبو الحسن علي بن المفرج بن عبد الرحمن الصقلي رحمه الله من لفظه بمكة في المسجد الحرام تجاه الكعبة في بكرة يوم الخميس تاسع عشرين ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة، وهو [أول] [1] حديث سمعته منه.

ح وحدثنا الإمام المفتي المحدث أبو زكريا يحيى [ابن أبي] [2] منصور بن أبي الفتح الحراني، وهو أول حديث سمعته من لفظه يوم عيد الفطر سنة ثمان وستين وست مائة، أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ ثقة الحفاظ سيد [....] / أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن أبي نصر بن علي بن عبد الدائم، المعروف بابن الغزال الحنبلي رحمه الله، بقراءتي عليه في منزله بالقطيعة في يوم السبت تاسع صفر سنة خمس عشرة وست مائة. ح وحدثنا الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن بلبان المشرف، وهو أول حديث سمعته من لفظه، حدثنا الشيخ أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي بن حمزة بن القبيطي الحراني نزيل بغداد، وهو أول حديث سمعته من لفظه سنة ثلاث وثلاثين وست مائة في جمادى الأولى، قالا: حدثنا أبو بكر أحمد بن المقرب بن الحسين الكرخي [3]، وهو أول حديث سمعناه منه، قال ابن القبيطي: وهو أول حديث سمعته من لفظه، حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: حدثنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الحافظ السجزي، وهو أول حديث سمعنا منه، حدثنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي وهو أول حديث سمعته منه. ح وحدثنا أبوزكريا يحيى بن أبي منصور الفقيه، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني الإمام الزاهد شيخ الشيوخ أبو نصر عمر بن محمد السهروردي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عمي أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد القرشي التيمي، وهو أول

---

[1] (أول) ضاعت من الترميم.

[2] ما بين المعكوفتين مما أضاعه الترميم.

[3] في الأصل (الكرجي) بالجيم.

حديث سمعته منه. ح وأخبرنا الإمام المحدث الزاهد العابد أبو اليمن عبد الصمد بن عبدالوهاب بن الحسن بن محمد بن عساكر الدمشقي ثم المكي رحمه الله، وهو أول حديث سمعته منه في يوم الثلاثاء سادس عشر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وست مائة بمنزله بأجياد من مكة – زادها الله تشريفا وتعظيما – قال: حدثنا والدي أبو الحسن عبد الوهاب – نضر الله وجهه – من لفظه وحفظه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وست مائة وهو أول حديث سمعته منه، حدثني والدي أبو البركات الحسن بن محمد الملقب بالسجاد سنة ست وتسعين وخمس مائة، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، وهو أول حديث سمعته منه، قالا: حدثنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي قراءة عليه، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه.

قالا [1]: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن بلال، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي، وهو أول حديث سمعته منه – وفي كتابي عن أبي زكريا من رواية السهروردي: محمد بن بشر وهو غلط – قال حدثنا سفيان بن عيينة الهلالي، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض، يرحمكم من في السماء".

ولفظ ابن عساكر: "ارحموا من في الأرض" والباقي سواء.

وحدثنا الفقيه أبو محمد أحمد بن أبي بكر بن خليل القرشي العثماني العسقلاني المكي في يوم السبت تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وست مائة

---

[1] كتب الناسخ فوقها في الأصل قيد التصحيح (صح)، ثم كتب قبالتها بالحاشية: (السجزي وابن محمش).

تجاه الكعبة المعظمة – زادها الله تشريفا - ، والمحدث الصالح أبو عمر عثمان بن محمد بن عثمان المالكي يومئذ، وهو أول حديث سمعته من لفظهما قالا: حدثنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، وهو أول حديث سمعناه منه. ح وكتب إلي أبو الفرج الحراني به قبل ذلك، وهو أول حديث كتبته عنه، قال: حدثنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك الموقت النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا والدي الإمام أبو صالح، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا الأستاذ الإمام أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الراحمون يرحمهم الرحمن – تبارك وتعالى – ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

قال عبد الرحمن بن بشر بن الحكم: هذا أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة، وقال أبو حامد بن بلال: هذا أول حديث سمعته من عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وقال أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي الإمام: هذا أول حديث سمعته من أبي حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وقال الشيخ الإمام والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن الحافظ: هذا أول حديث سمعته من الإمام أبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي رحمه الله.

هذا حديث غريب، لم يروه غير عمرو بن دينار، عن أبي قابوس تفرد به سفيان بن عيينة عن عمرو.

ورواه أبو داود في الأدب [١] عن أبي بكر ومسدد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن أبي قابوس به.

ورواه الترمذي / عن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، عن سفيان في البر [٢] أتم من الأول، وفيه: "الرحم شجنة" وقال: "حسن صحيح".

وهذا الحديث مسلسل بالأولية إلى سفيان على الصحيح.

وقد رُوي مسلسلا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى عبد الله بن عمرو، وإلى أبي قابوس، وإلى عمرو بن دينار، وكلها ضعيفة أو شاذة [٣].

وأبو قابوس لا يعرف إلا بكنيته.

وحُكي عن أبي الفرج ثابت بن محمد المديني الحافظ أن اسمه المبرد.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: ليس هذا مما يُركن إليه [٤].

وقابوس [٥] لا ينصرف للعجمة والعلمية، ويمتنع دخول الألف واللام عليه دون طاووس قبل العلمية، أو هو اسم جنس.

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: ويحتمل جواز صرفه على أنه منقول من العجمة إلى العلمية، بمعنى النقل من القابوس وهو: الجميل الوجه الحسن اللون. لكن الجزم بامتناع صرفه يدل على أنه منقول من العجمة إلى العلمية من غير تردد.

ومَحمِش بفتح الميم الأولى وكسر الثانية، بينهما حاء مهملة ساكنة، وآخره شين معجمة.

---

[١] رقم: (٤٩٤١).

[٢] رقم: (١٩٢٤).

[٣] بنحوه قال العراقي في شرح ألفيته (١ / ١٩٧)، والحافظ ابن حجر في نزهة النظر (ص ١٢٣)، والسخاوي في فتح المغيث – ونقله عن ابن الصلاح – (٣ / ٤٣٧ – ٤٣٨)، وغيرهم.

[٤] لعله ذكر ذلك في الجزء الذي جمع فيه طرق هذا الحديث، وأشار إليه السخاوي في فتح المغيث (٣ / ٤٣٨).

[٥] انظر تاج العروس للزبيدي (١٦ / ٣٥٠).

والزِيادِيّ [(١)] نسبة إلى محِلّة كان ينزلها من نيسابور، يسمى ميدان زياد بن عبدالرحمن. وهي صحيحة من حيث العربية، لأنا إذا أردنا أن ننسب إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر، والثاني مسمى على انفراده، فإنا ننسب إليه فقط. فالنسبة إلى أبي طالب طالبي، ولهذا قالوا: الطالبيون في النسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والعاصي يقوله كثير من أهل الضبط بالياء على الجادة، والمشهور على ألسنة المحدثين كسرها بلا ياء.

وفي هذا الحديث فوائد:

الأولى: قوله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن" دليل على أن رحمة خلق الله سبب لرحمة الله تعالى.

الثانية: قوله صلى الله عليه وسلم: "يرحمكم من في السماء" مما يجب الإيمان به وإجراؤه على ظاهره مع التصريح بالتنزيه والتقديس، والتبري من التحديد والتشبيه والتعطيل، لأنه صلى الله عليه وسلم أطلقه ولم يقيده بكيفية، فوجب الإيمان به على ما ذكرنا، وهذه طريقة صدر الأمة وسادتها، وهي اختيار أئمة الفقهاء وقادتها.

وينبغي للعبد مع الإيمان بذلك أن لا يفكر في معناه إلا أن يرد نص من كتاب أو نص [من] [(٢)] سنة به، فإن نبغ نابغة في الكلام في ذلك وجب الرد عليه على الطريقة التي ذكرناها، مع التزام التبري من التحديد والتشبيه والتعطيل، فسبحان مَنِ الوجود قائم بوجوده، لا يشبهه شيئ ولا يحده حد، أوجد الأشياء من العدم، وكان سبحانه ولا شيء معه، وهو الذي علمنا ما لم نعلم وعرفنا به، لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا

---

(١) بكسر أوله، وفتح المثناة تحت المخففة، وبعد الألف دال مهملة مكسورة. انظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي (٤ / ٣٢٢).

(٢) سياق العبارة في الأصل هكذا: (إلا أن يرد نص من كتاب أو نص به)، وكلمة نص الثانية مشكولة بتنوين كسر، وكتب الناسخ قيد تصحيح (صح) فوق كلمة نص الأولى، ثم ضرب عليها أحدهم، وكتب قبالتها بالحاشية كلمة (سنة) وبجوارها قيد التصحيح (صح)، ثم ضرب عليها هي الأخرى، لذا حاولت الجمع بين الصنيعين على النحو المذكور، فإن كنت أخطأت فحسبي أني أوقفت القارئ الكريم على واقع الأمر، والله أعلم.

معرفة لنا إلا بتعريفك إيانا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ذاته لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، والتصرف في أدلتها وتأويلها لا يشبه التصرفات.

الثالثة: كما أن الراحم منا مرحوم، كذا غير الراحم غير مرحوم، ويؤيد ذلك:

قوله صلى الله علي وسلم "من لا يرحم لا يرحم" [١].

وقوله صلى الله عليه وسلم "لا تنزع الرحمة إلا من شقي" [٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم "إنما يرحم الله من عباده الرحماء" [٣].

ثم إن رحمة الله للرحماء من خلقه المذكورة في هذه الأحاديث هي غير الرحمة التي بثها بين خلقه في الدنيا، فإنه سبحانه قد جعلها وكانت، وإنما هي الرحمة الموعود بها في الآخرة، لأن رحمته في الدنيا لا تخص الراحم بل هي له ولغيره.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم قابل لفظ "الراحمون" بلفظ يدل على المبالغة، وهو "الرحمن"، مبالغة في رحمتهم.

ويدل على كون رحمة الله المذكورة في هذا الحديث أنها في الآخرة دون الدنيا ما ثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خلق الله مائة رحمة، وأنزل منها رحمة بين عباده، فبها يتراحمون، وبها يتعاطفون، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين، ففضها على عباده" [٤].

قال سليم رحمه الله: من رحمة واحدة أصابنا القرآن والإيمان وفعل وفعل أفلا نرجو من مائة رحمة الجنة.

---

[١] أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] أخرجه أحمد (٨٠٠١)، وأبوداود (٤٩٤٢) ، والترمذي (١٩٢٣)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن.

[٣] أخرجه البخاري في مواطن منها (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

[٤] أخرجه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢) بنحوه.

الرابعة: ينبغي رحمة جميع مخلوقات الله تعالى، والإحسان إليهم على كل حال بحسبه، حتى في المؤلمات، كالذبح، واستيفاء الحدود والجنايات من تحديد آلة الذكاة، وعدم سَلخ المذبوح حتى تسكن حركته، وكذلك لا تقام الحدود في الحر والبرد الشديدين، وكذا لا يقام الحد على حامل حتى تضع، وكذلك لا يفرق بين والدة وولدها قبل سبع سنين، وفيما بعد ذلك خلاف، وكذلك منع من المثلة، وشُرع العفو عن القصاص، وشرعية العقوبات والمؤاخذات زجر عن الفساد في الأرض، وكف العادية عن الخلق، فهي إذا مراحم، والله أعلم.

فسبحان من أوجدنا من العدم، وخلق فينا أفعالا وأقوالا وأحوالا أثابنا عليها جودا وكرما، ومن كان هذا وصفه فحقيق بنا الشوق إليه، وطلب الوصول إليه. اللهم اجعل شوقنا إليك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

أنشدنا الشيخ العارف الفاضل أبو عبد الله محمد بن بشر النووي أصلا رحمه الله في غالب الظن بدمشق بحضرة شيخنا الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله لنفسه:

بشائر قلبي يوم سيري إليكم ... فيا لسروري يوم سيري إليكم

وفي رحلتي يصفوا مقامي فحبذا ... مقام به حط الرحال لديكم

ولا زاد لي إلا يقيني بأنكم ... لكم كرم يغني الوفود عليكم

آخره، والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

❖❖❖

# مكانة الإنسان في القرآن الكريم

محمد جينادن

الكلية الحكومية، ترور، مالابرم، كيرالا

الإنسان هو ذلك المخلوق المفكر الناطق، وهو اسم جنس يقع على كل فرد من ذرية آدم وحواء، ليشمل الذكر والأنثى، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والعربي والعجمي، والمؤمن والكافر، والحر والعبد .... على حد سواء.

من بين مخلوقات الله الكثيرة اختص القرآن الكريم هذا الإنسان بقيمة خاصة ومكانة ممتازة، فهو مكرم مفضل له منزلته السامية ومكانته الفريدة، ينظر القرآن الكريم إلى الإنسان باعتباره أعلى الكائنات وأعظمها.

**الإنسان في نصوص القرآن:**

وقد ورد ذكر الإنسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعا ابتداء من سورة النساء في قوله تعالى: {يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا} (النساء:٢٨).

وانتهاء بسورة العصر في قوله تعالى: {والعصر، إن الإنسان لفي خسر} (العصر: ١- ٢).

ولكلمة "إنسان" في الاصطلاح القرآني دلالات ومفاهيم تفصل ما أودع الله في هذا الكائن المتميز من قدرات عقلية ولسانية وجسمانية، وهذه الكلمة في القرآن الكريم تقترن بدعوته إلى اختيار الصراط السوي والتأمل في الكون كما ترتبط بكل ما يتولد في النفس من عواطف ومشاعر، ومن ضعف ونسيان، ورجاء وخوف، وحسد وصبر، من ذلك ما جاء حول الإنسان في الآيات التالية:

{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} (الانفطار: ٦)

{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} (التين: ٤).

{ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا} (الإسراء:١١).

{ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} (الكهف:٥٤).

{إن الشيطان للإنسان عدو مبين} (يوسف: ٥).

وأما كلمة "الناس" – التي تستعمل في معنى الإنسان – فهو اسم جنس للدلالة على السلالة الآدمية بوصفها نوعا من أنواع الكائنات التي خلقها الله سبحانه، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مائتين وواحدا وأربعين مرة ابتداء من سورة البقرة في قوله تعالى:

{ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين} (البقرة:٨).

وانتهاء بذكر هذا اللفظ خمس مرات في سورة الناس – السورة الأخيرة من القرآن – في قوله تعالى: {قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس} (الناس: ١- ٦).

الناس هو الاسم الكلي الجامع للجنس البشري الذي يخاطب الله به بني آدم بدون تمييز أو تقييد أو تحديد كما قال تعالى:

{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (الحجرات: ١٣).

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ....} (النساء: ١).

{يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة: ٢١).

أما كلمة "الإنس" فإنها تشترك مع لفظ الإنسان في الدلالة اللغوية، فهي من أخوات ومشتقات الأنس أي إنها تحوم حول معاني الألفة، والود، والطمأنينة، واستقرار النفس وهذا اللفظ ينفرد عنه في الاستعمال الموضوعي، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم – مقابل لفظ الجن – في ثمانية عشر موضعا، ابتداء من سورة الأنعام في قوله تعالى:

{وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون} (الأنعام: ١١٢).

وانتهاء بسورة الجن في قوله تعالى:

{وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا} (الجن: ٦).

أناسي: وهو جمع إنسان، وقد ورد مرة واحدة في القرآن الكريم. (الفرقان: ٤٩).

أناس: وهو جمع لا واحد له من لفظه، وواحده "إنسان"، وقد تكرر خمس مرات في القرآن، منها قوله تعالى: {قد علم كل أناس مشربهم} (البقرة: ٦٠).

والكلمة الأخرى التي أطلق القرآن على الإنسان هي كلمة "بشر"، وردت في القرآن في سبعة وثلاثين موضعا، هذه الكلمة توحي بطبيعة جسم الإنسان وتكوينه حيث إنها مشتقة من البشرة وهي ظاهرة الجلد، وجمعها بشر، وغالبا ما تأتي لتبين حدود مؤهلات الإنسان وقدراته أمام الخالق سبحانه وتعالى، وتأتي كذلك في سياق يوحي بأن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – اصطفاهم الله وجعلهم رسلا في قومهم، فإنهم بشر يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، وفي كل هذا إشارات إلى سمو الإنسان، وعلو قدره عند الله، وأمام كل الخلائق. قال الله تبارك وتعالى:

{وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا} (الفرقان:٥٤).

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} (الكهف: ١١٠).

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} (الأنبياء: ٣٤).

{فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا} (مريم:١٧).

(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} (الإسراء: ٩٣).

{بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} (المائدة: ١٨).

وفي القرآن كلمة أخرى خاطب الله بها الإنسان وهي كلمة "بنو آدم" ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وقد أحيط هذا اللفظ بالخصوص بمعاني التكريم والرعاية والتفضيل، من ذلك قوله تعالى:

{يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون} (الأعراف: ٢٦).

{يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ....} (الأعراف:٢٧).

{يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} (الأعراف: ٣١).

{يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (الأعراف: ٣٥).

وفي القرآن خطاب صريح للإنسان وعناية بالغة به، ووردت اسم سورة من سوره بصيغة المفردة تارة، والجمع تارة أخرى، وإذا كان لفظ "النبي" أو "الرسول" لم يذكر فيه إلا بضع مرات، فإن لفظ "الإنسان" ورد في نحو ٤٥ سورة كما ذكرنا قبل.

**الإنسان قبل نزول القرآن الكريم:**

قد كان الإنسان قبل نزول القرآن في حضيض الذل والهوان. ولم يكن على وجه الأرض شيء أصغر منه وأحقر، وكانت بعض الحيوانات المقدسة وبعض الأشجار المقدسة التي علقت بها أساطير ومعتقدات خاصة، أكرم وأعز عندهم وأجدر بالصيانة

والمحافظة عليها من الإنسان، ولو كان ذلك على حساب قتل الأبرياء وسفك الدماء، وكانت تقدم لها القرابين من دم الإنسان ولحمه من غير وخز ضمير وتأنيب قلب.

وقد أتى على الإنسان حين من الدهر سادت فيه عقيدة أشرفية بعض أهل الأديان والأمم والأسر وكونها فوق مستوى البشر، وكانت بعض الأسر والسلالات تصل نسبها إلى الشمس والقمر وإلى الله سبحانه.

كان اليهود من أوائل الشعوب التي ابتدعت تمايز الأجناس البشرية، وعلو طبقاتها فوق بعض، وذلك بزعمهم أنهم المفضلون عند الله، أو هم شعب الله المختار، وهم أبناء الله وأحباؤه، أما بقية الشعوب فحثالة لا قيمة لها عند الله.

إن القرآن حكى لنا قول اليهود والنصارى، فقال:

{وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه} (المائدة: ١٨).

والأمة الألمانية النازية قبل الحرب العالمية الأخيرة أسرفت في الدعوة إلى العنصرية فقسمت الجنس البشري طبقات، وجعلت في مقدمتها الجنس الأري المتفوق حسب زعمها. [١]

وأما في الهند فقد عرفت فيه أسرتان سميتا "سورج بنسي" يعني أبناء الشمس، و "جندر بنسي" أبناء القمر، أما في إيران فقد كانت أكاسرتها يزعمون أنه يجري في عروقهم الدم الإلهي، وكان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة تقديس وتأليه، وكان من ألقاب كسرى أبرويز (٥٩٠ – ٦٢٨ م) ووصفه "في الآلهة إنسان غير فان" وفي البشر إله ليس له ثان، علت كلمته وارتفع مجده، يطلع مع الشمس بضوئه وينير الليالي المظلمة بنوره. [٢]

الإغريق تصوروا أنفسهم متمدنين ومن عداهم برابرة ومتوحشين. ولم يختلف الحال عند المصريين القدماء، فقد كانوا يرون أنهم أبناء الشمس، وشعب الله المعبود.

---

[١] عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي ص ٢٩٧، دار العلم للملايين، بيروت.

[٢] الشيخ أبو الحسن علي الندوي، مجلة البعث الإسلامي ص ١٧، شوال ١٤٠٨ هـ.

وانتشرت هذه الفكرة عند الرومان أيضا، فأبناء روما هم الفضلاء الأحرار وغيرهم عبيد أرقاء. إن أرسطو ذا العقل الكبير والآراء النيرة قال: "إن البشر جنسان: أحرار وعبيد، فالأحرار هم الذين يجب أن يحموا العالم، أما العبيد فهم آلات صماء في أيدي الأحرار". [1]

ولعل دعاة التمييز العنصري فيما مضى من القرون – وفي عصرنا هذا – استندوا على هذه الفكرة الزائفة من أفكار أرسطو، واتخذوها أساسا لعدوانهم على الطبقات التي كانوا يعدونها طبقات سفلى، فسلبوهم حقوقهم، وعاملوهم معاملة سيئة، لأنهم أدنى منهم وأحط شأنا في نظرهم.

أما أهل بلادنا الهند فقد قسموا سكانها في أربع طبقات:

١ – طبقة الكهنة ورجال الدين، وهم "البراهمة".

٢ – رجال الحرب والجندية، وهم "كشتريا".

٣ – رجال الفلاحة والتجارة وهم "ويش".

٤ – رجال الخدمة، وهم "شودر" وهم أحط الطبقات، فقد خلقهم خالق الكون من قدميه حسب زعمهم، وليس لهم إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث العليا وإراحتها. في هذا القانون كانت للبراهمة مكانة عظيمة لا يشاركهم فيها أحد، والبرهمي رجل مغفور له ولا يعاقب بالقتل في حال من الأحوال، ولا يجوز فرض جباية عليه. أما "شودر" فليس لهم أن يكتسبوا مالا، أو يدخروا كنزا، أو يجالسوا برهميا، أو يمسوه بيدهم أو يتعلموا الكتب المقدسة.

وكان أهل الحرف مثل الحاكة والسماكين والجزارين والحبالين والكناسين والقائمين لتنظيف المدن، لا يسمح لهم – وفق أحكام منوسمرتي – بالإقامة داخل أسوار المدينة. فكانوا يقيمون في الخارج ويدخلون المدن بعد طلوع الشمس لممارسة

[1] د/ محمد شامة، منبر الإسلام، ١٤٣٢ صفر، ص: ٤٥.

أشغالهم ووظائفهم، وكانوا يخرجون منها قبل أن تغرب الشمس، وكانوا يعيشون عيشة بدوية.

أما العرب فكانوا يعتبرون كل من سواهم العجم، وكانت قبيلة قريش ترى نفسها أشرف قبائل العرب وتحافظ على امتيازها في الموسم، فلا تشارك الناس في مواقفهم ومساكنهم ولم تكن تدخل عرفات مع الحجيج بل تبقى في الحرم، وتقف بالمزدلفة.

أما الصينيون فكانوا يعتبرون الإمبراطور "ابن السماء" ويعتقدون أن السماء ذكر والأرض أنثى، وباتصالهما خلق هذا الكون. وكذلك كانت القياصرة في مرتبة الآلهة، فكان عدد من يملك زمام البلاد إلها لأهلهم.

الإنسان في نظر الماديين:

الإنسان في نظر الماديين، حيوان من الحيوانات الأرضية، وإنه أحد الأحياء الكثيرة المتنوعة على هذا الأرض، من الأرض نشأ، وعلى الأرض يمشي، وفي الأرض يأكل ويشرب، وإلى الأرض يعود!! هو كائن ليس له أهمية ولامكانة ولا امتياز على غيره. وفي نظرهم هو قبضة من الأرض أو كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب والأجهزة. وما العقل والذكاء إلا مادة يفرزها المخ، كما تفرز الكلية البول. والعلوم المادية تعتقد أن الإنسان جنس من الحيوانات كالهوام والحشرات والزواحف والقرود، وأنه تطور بمرور الزمن فأصبح هذا الإنسان.

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: إن أحد العلماء رد جسم الإنسان إلى العناصر الأساسية فيه، فخرج بالنتائج الآتية:

إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلا (١٤٠) وغلغلنا النظر في تكوينه وجدنا بدنه يحتوي على المواد الآتية:

قدر من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون.

قدر من الكربون يكفي لصنع سبع أقلام رصاص.

قدر من الفوسفور يكفي لصنع رؤوس مائة وعشرين عود ثقاب.

قدر من ملح المغنيسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات.

قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه.

قدر من الجير يكفي لتبييض بيت الدجاج.

قدر من الكبريت يكفي لتطهير جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره.

قدر من الماء يملأ برميلا سعته عشرة جالونات!

وهذه المواد تشترى من الأسواق بمبلغ من المال يساوي خمسين أو ستين قرشا مصريا!! وتلك هي قيمة الإنسان المادية. [١]

المادية التاريخية تنظر إلى الإنسان على أنه عملة اقتصادية في سوق الصناعة والتجارة، تخضع بالضرورة لقانون العرض والطلب. وفي نظر الفاشية هو واحد من عنصر سيد أو مسود بغير اختيار. وأما النزعة العقلية فقد قررت الإنسانية وهما من أوهام الذهن، وأن الشيء الموجود حقا هو الفرد الواحد .... [٢].

مكانته في القرآن الكريم:

إن الإنسان في القرآن يتبوأ مكانة عالية من بين سائر مخلوقات الله تعالى. فهو الكائن الوحيد المكلف في هذه الأرض، بما أودع الله فيه من الصفات التي تقربه من الكمال.

القرآن الكريم أعاد إلى الإنسانية كرامتها وشرفها أولا، بتحرير الإنسان من العبادة والخضوع لغير خالقه عز وجل، واسترد إنسانيته بإخراجه من عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين وحده. ورد إليها اعتبارها وقيمتها، وأعلن أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون، وليس هنا شيء أشرف وأكرم وأجدر بالحب، وأحق بالحفاظ عليه من

---

[١] الشيخ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٢٧.

[٢] العقاد: الإنسان في القرآن ٧.

هذا الإنسان، وقرر القرآن أن الإنسان قمة الكائنات الحية التي تعيش على وجه الأرض، لما أودع الله فيه من مزايا وصفات، ولما أعده من جليل المقاصد والغايات. إنسان القرآن الكريم، هو محور الوجود كله، الذي لأجله أرسل الله الرسل وابتعث النبيين. وصرح القرآن أن الناس جميعا انحدروا من أصل واحد، واختلاف الألوان والألسنة آية من آيات قدرته تعالى ووسيلة من وسائل تعارف الشعوب والقبائل، والتفاضل إنما يكون بالتقوى لا بالجنس واللون.

{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (الحجرات:١٣).

**الإنسان مخلوق مكرم:**

فقد كرم الله الإنسان في أصل الخلقة، وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا} (الإسراء: ٧٠).

تبلغ هذه الكرامة ذروتها حين يحدثنا القرآن الكريم تفصيليا:

١ – إذ نفخ فيه من روحه، وهذه النفخة العلوية لم يحظ بها كائن في الوجود سوى الإنسان، حيث يقول سبحانه:

{ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون} (السجدة: ٩).

٢ – وخلقه في أحسن صورة وأجملها بين سائر المخلوقات، حيث يقول سبحانه: {الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين} (غافر: ٦٤).

ويقول: {الذي خلقك فسواك فعدلك} (الانفطار: ٧).

أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات والأشكال [1].

---

[1] ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٨١.

٣ – وزوده بالعديد من القوى والإمكانات التي تعينه على إدراك الحقائق الكبرى في الوجود، ومنحه وسائل التعلم من السمع والبصر والإدراك العقلي والذاكرة، حيث يقول سبحانه: {وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون} (السجدة: ٩).

ويقول: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} (النحل: ٧٨).

ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا، مريدا، متكلما، سميعا، بصيرا، مدبرا، حكيما، وهذه صفات الرب. [1]

٤ – فتح له باب التقرب إلى الخالق سبحانه وتعالى بغير وساطة، وهذا من دلائل تكريم الله تعالى للإنسان في نظر القرآن، حتى يمكنه أن يدعوه ويعبده إذا شاء ومتى شاء، ولم يحوجه إلى وسطاء يتحكمون في ضميره، ويقفون حجابا بينه وبين ربه. حيث يقول الله تعالى:

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} (البقرة: ١٨٦).

{وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} (غافر: ٦٠).

إذ لا حاجة للإنسان إلى كاهن ولا كهنوت يقربه إلى الله تعالى، فيستطيع أن يدعو ربه وأن يناجيه مباشرة في أي ساعة ليل أو نهار، فليس على بابه حاجب ولا بواب.

٥ – وأسجد له ملائكته وكرمه بالعلم ورفعه به، حيث يقول سبحانه:

{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين} (البقرة: ٣٤)

---

[1] أحكام القرآن: ٤ / ١٩٥٢.

فهذه المخلوقات النورانية العلوية، حين تؤمر بالسجود للإنسان ممثلا في شخص أبيه آدم – وليس سجود عبادة – ، فهذا ينبئ عن مدى كرامة هذا المخلوق عند الله سبحانه وتعالى.

ويقول سبحانه:

{وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} (البقرة: ٣١).

فقد دلت هذه الآية على أن علم آدم بالأسماء، وعجز الملائكة عن العلم بها، كان موجبا لاستحقاق آدم للخلافة عن الله دون الملائكة، وهذا يعني أن مزية هذا النوع – الإنسان – على الملائكة إنما كانت بالعلم.

ويقول أيضا: {الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان} (الرحمن: ١ –٤).

٦ – رزقه من أنواع الطيبات وإباحتها له: قال تعالى:

{ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء:٧٠)

وقال تعالى: {يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} (البقرة: ١٦٨).

٧ – وسخر له كل شيء في الكون لخدمته: بعد أن هيأ الله الإنسان للحياة بالجسم والعقل والحرية هيأ الله الحياة له حتى قال الراغب الأصفهاني: إن كل شيء مخلوق في هذا العالم، إنما هو من أجل الإنسان. [١]

سخر له ما في الكون من السماوات والأرض وما فيهما كالشمس والقمر والفلك والبحار والأنهار والرياح والأشجار والنباتات والأنعام والمراكب حيث يقول سبحانه:

{وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الجاثية: ١٣).

---

[١] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١٦.

{ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} (لقمان: ٢٠)

٨ – واصطفاه من بين جميع خلقه ليكون خليفة في أرضه يعمرها ويحميها من الفساد حتى يمكن للخير والعمل الصالح وعبادة الله، حيث يقول سبحانه: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} (البقرة: ٣٠).

ويقول أيضا: {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها} (هود: ٦١)

فالإنسان مكلف من قبل الله باستثمار كل ما في الكون والانتفاع به وتسخيره لمنفعته، وفي هذا أبلغ تكريم للإنسان حيث سخر له ما هو أكبر منه خلقا كالسماوات والأرضين، وأعظم منه جسما كالأنعام وأكثر منه خطرا وأثرا في ظاهر الأمر كالبحار والنار. [١]

٩ – وخلقه على فطرة صالحة نقية سليمة، وهي فطرة التوحيد، والقرآن لا يعرف الخطيئة الموروثة كما يعتقد النصارى، وقد ذهب الكثير من العلماء إلى أن فكرة الله أو الدين على العموم إنما هي فكرة فطرية وجدت في عقل الإنسان. قرر القرآن هذه الحقيقة بقوله:

{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (الروم: ٣٠).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه [٢]". فلم يفطر على الشر بطبعه، ولم يحمل نتيجة خطيئة لم يرتكبها، بل يولد ولديه الاستعداد الطبيعي للخير والشر معا، فيكسب الخير أو الشر بعمله ويكون مسئولا عن هذا العمل.

---

[١] الذرية إلى مكارم الشريعة للأصفهاني، ص ٨٤.

[٢] البخاري.

١٠ - إكرامهم بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب السماوية عليهم لتهديهم للتي هي أقوم. ولم يترك الله سبحانه وتعالى برحمته وفضله الإنسان يتعامل مع الكون بعقله وحده، وعقله جزء من جسمه، يخضع لبعض هواه أحيانا، ويتأثر بعلته وضعفه، فكان إرسال الرسل ترشيدا لهذا التعامل مع الكون، بوجود هدى إلهي، ولا يكون ذلك إلا بالوحي من الخالق. قال تعالى:

{رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} (النساء: ١٦٥).

{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط} (الحديد: ٢٥).

فالإنسان أكرم الخلائق بهذه الاستعدادات المتفردة بين خلائق السماء والأرض، وإن كان شيئا ضئيلا بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياة جسمه. والقرآن الكريم استرد إنسانية الإنسان ورفع الإنسان إلى المستوى اللائق به من التكريم كله.

فالحضارات القديمة والعلوم المادية والنظريات السابقة لم تضع الإنسان في موضع أكرم له وأصدق في وصفه. فالمؤمن في القرآن الكريم يشعر بذاته الكرامة، ويغالي بقيمة نفسه، لأنه يعتز بتكريم خالقه عز وجل، وتسخيره له ما في الكون، فيحيا عزيز النفس، عالي الرأس، أبيا للضيم، عصيا على الذل والهوان، بعيدا عن الشعور بالتفاهة والضياع. وهذا الإحساس للمؤمن كسب عظيم وغنى كبير. وأما المادي فيعتقد في نفسه إنه مجرد حيوان من فصيلة راقية، ليس له في حياته صلة بالوجود الكبير أكثر من صلة القرود به، وليس له بعد موته امتداد. يعيش الآخر باعتقاد أنه خليفة الله في الأرض، والمخلوق المكرم بين الخلائق، يشعر بأن الكون كله في خدمته، وأن وجوده لا ينتهي بالموت، فإنما خلق للخلود وللأبد الذي لا ينقطع ولا يزول.

❖❖❖

علوم القرآن

# مراتب القراءة وبيان الرواية التي نقرأ بها

د. محمد خالد منصور

القراءة ميزان دقيق، وطريقة متلقاة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك نص القراء على أن القراءة المتلقاة ما كانت موافقة للطبع السليم، وتقبل عليها الأفئدة السوية.

قال ابن الجزري: "وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن قرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول، ويأخذ بالألباب، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه ..." [١].

هذا، وإن القراءة الصحيحة عند القراء على عدة مراتب [٢]

١ – التحقيق: وهو لغة مصدر من حقق الشيء تحقيقا: إذا أتى بالشيء على حقه، وجانب الباطل فيه، والمعنى هنا: أن يأتي بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان، وهو بلوغ حقيقة الشيء، والوقوف على كنهه، والوصول إلى نهاية شأنه.

والتحقيق اصطلاحا: هو إقامة القراءة، وإعطاء كل حرف حقه من المد والهمز، والإشباع وإتمام الحركات والتفكيك، مع التنبه إلى عدم تحريك الساكن واختلاس الحركة، وتفكيك الحروف: هو تبيينها وإخراج بعضها من بعض بيسر وترسل وتؤدة، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات.

والتحقيق يكون لرياضة الألسن في مقام التعليم لإتقان القراءة، من غير أن يتجاوز فيه حد الإفراط، من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات.

---

[١] النشر في القراءات العشر: ١ / ٢١٢.

[٢] وانظر هذه المراتب مفصلة، ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: ٤٨ – ٤٩، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٠٥، وما بعدها، ومحمد مكي نصر، نهاية القول المفيد، ص: ١٤ – ١٥، والمرصفي، هداية القارئ ، ص: ٤٣، وعبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٤٩ – ٥٠.

والتحقيق مذهب حمزة، وورش من طريق غير الأصبهاني ... .

فقد روي عن الإمام حمزة، وهو إمام المحققين أنه قال لبعض من سمعه يبالغ في قراءته: "أما علمت أن ما فوق الجعودة قطط، وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة". [١].

٢ – الترتيل: هو مصدر من رتل فلان كلامه: إذا أتبع بعضه بعضا على مهل ومكث، وهو القراءة بتؤدة، واطمئنان مع تدبر المعاني، ومراعاة أحكام التجويد من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها من جهة المخارج والصفات، والمدود، وترقيق المرقق، وتفخيم المفخم، مما يتفق وقواعد التجويد، والتي هي مستقاة من قراءة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي أفضل المراتب التي أمر الله نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بها القرآن، بقوله: {ورتل القرآن ترتيلا} (المزمل: ٤).

ومعنى الآية الكريمة السابقة: أي لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه على مهل وبيان مع عدم تطنين النونات، وتغليظ اللامات في غير محله، وتشوبيها بالغنة، وترعيد الصوت وتكرير الراءات، قال مجاهد: "ترسل فيه ترسلا، وقال الضحاك أنبذه حرفا حرفا" [٢].

هذا، وإن الأكثرين على أن التحقيق والترتيل مرتبة واحدة، وأن الترتيل نوع من التحقيق، وفرّق بعضهم بينهما، وجعلهما مرتبتين.

وحينئذ يكون التحقيق للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل للتدبر والتفكر والاستنباط، فكل ترتيل تحقيق، وليس كل تحقيق ترتيلا، وقد سلكت في هذا الكتاب مذهب التفريق بينهما [٣].

٣ – التدوير: وهي القراءة بحالة متوسطة بين مرتبتي الترتيل والحدر، مع المحافظة على أحكام التجويد، وعدم الإخلال بها.

---

[١] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٠٥ – ٢٠٦.

[٢] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: ٤٨، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٠٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٢٦، والصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، ص: ٤١.

[٣] وانظر: عبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٤٩ – ٥٠.

وهو وارد عند أكثر الأئمة ممن روى المد المنفصل، ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وصح عن جميع الأئمة، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

٤ – الحدر: فهو الإسراع في القراءة مع الحافظة على قواعد التجويد، ومراعاتها بدقة، ويحذر فيها القارئ من بتر حروف المد، وذهاب صوت الغنة، واختلاس أكثر الحركات.

والحدر إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل، والإدغام الكبير، وتخفيف الهمز مما صحت به الرواية، وهو عند القراء لتكثير الحسنات في القراءة، وحوز فضيلة التلاوة، وهذا النوع مذهب ابن كثير، وأبي جعفر، وسائر من قصر المنفصل كأبي عمرو، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني عن ورش، والولي عن حفص.

والمراتب الثلاث الأخيرة يجوز أن تقرأ بأي منها، يقول الناظم:

حدر وتدوير وترتيل ترى جميعها مراتبا لمن قرأ [١]

وتكون الأفضلية في القراءة كما يلي: الترتيل، فالتدوير، فالحدر، وفي ذلك قال الشيخ إبراهيم عبد الرزاق:

الحدر والترتيل والتدوير الأوسط الأتم فالأخير [٢]

وكما حققه العلامة ابن الجزري بقوله: "الصحيح والصواب ما عليه معظم السلف والخلف: وهو أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها، لأن المقصود من القرآن فهمه، والتفقه فيه، والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه .... [٣].

[١] عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، ص: ٢٠.

[٢] المرصفي، هداية القارئ، ص: ٤٣.

[٣] النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٠٨ – ٢٠٩.

## الرواية التي نقرأ بها [(١)]

الرواية التي نقرأ بها القرآن الكريم، هي رواية حفص عن عاصم من طريق عبيد بن الصباح من طريق أبي الحسن الهاشمي بمضمن كتاب "حرز الأماني ووجه التهاني" المسماة بالشاطبية في القراءات السبع، وهي الرواية التي نقرأ القرآن الكريم بأحكامها وقواعدها، مضبوطة محررة بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وعاصم هو أحد القراء العشرة المشهورين الذين تواترت قراءتهم، وصحت القراءة بها.

وبقي أن نعرف بحفص – رحمه الله تعالى - ، فنقول: هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي دواد الأسدي الكوفي، ويعرف بحفيص، أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم، ولد سنة تسعين من الهجرة، وتوفي سنة ثمانين ومائة من الهجرة، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، قال يحيى بن معين: "الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم رواية حفص، وقال ابن المنادى: "كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وأقرا الناس دهرا".

ومعلوم بأن عاصما قرأ على زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي، وهما على عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وقرأ هؤلاء الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – على النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا، وإن قراءة حفص عن عاصم من طريق الشاطبية هي قراءة عامة المسلمين في عصرنا الحاضر، ومعظم طبعات المصحف الشريف بمضمن رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.



---

(١) وانظر هذا المبحث: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ١ / ١٥٣، وما بعدها، والضباع، تذكرة الإخوان، ص: ٤٣، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٢٧ وما بعدها.

# المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
## مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
## حياته وأعماله

(١٥) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

**المناصب التي تولاها:**

كان رحمه الله يؤثر الخمول وعدم الإشادة والتنويه، وقد عرفه الجميع بزهده وتواضعه ودماثة خلقه. أما المناصب والمسؤوليات فهي في الغالب تتجه اتجاها آخر، وتقتضي الظهور والفخفخة، فلذلك كان رحمه الله يحاول أن يجنب نفسه من هذه الالتزامات، مع أنه كان يعيش عيشة ملؤها العمل والنشاط والحركة لأغراض دينية واجتماعية وتعليمية ودعوية، ورغم ظروفه الصحية المتدهورة، ورغم أعماله العلمية المتراكمة كان يتجشم مشاق الحل والترحال للمصالح العامة. ثم إنه رحمه الله كان لا يعد المنصب تشريفا كما يعده الكثيرون، بل كان يعده تكليفا ومسؤولية يحاسب عليها أمام الله عز وجل كما صرح بذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ..." [1].

ورغم تحفظه الشديد في هذا الباب لم يملك رد قرارات أهل الحل والعقد القاضية بإسناد بعض المسؤوليات والمناصب إليه. فهؤلاء المسؤولون كانوا يجدون في شخصه بغيتهم لتحمل هذه المناصب لثقتهم الكبيرة في معارفه وخبراته وتجاربه. فكان لا يجد بدا من النزول إلى بعض اقتراحاتهم واختياراتهم وقراراتهم، مستعينا بالله العلي القدير أن يحيطه بتوفيقه وعنايته.

[1] متفق عليه.

فمن المناصب التي أسندت إليه رحمه الله واضطر إلى قبولها: رئاسة مجلس الجامعة السلفية بنارس، ونيابة رئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند، ونيابة رئيس الهيئة التعليمية الدينية لولاية أترابراديش، والإشراف على جامعة سراج العلوم بوندهيار وبعض المدارس الأخرى، ونيابة رئيس تحرير رسالة محدث الصادرة من مدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي، ومشيخة الحديث والإفتاء بالمدرسة المذكورة. وفيما يلي نلقي بعض الأضواء على كل هذه المؤسسات والأعمال.

**الجامعة السلفية بنارس:**

المسلمون يعيشون في الهند كأقلية، وكانوا قد حكموا البلاد ثمانية قرون، ثم سيطر عليها الاستعمار الانجليزي، وبعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة اضطر الاستعمار إلى الرحيل، وشهدت البلاد الاستقلال السياسي، ولكنها انقسمت في الوقت نفسه إلى دولتين: الهند والباكستان. كما انقسمت الباكستان فيما بعد إلى: الباكستان وبنغلاديش. وكلا البلدين ذو أغلبية مسلمة.

والمسلمون الذين لا يزالون يسكنون في الهند يزداد عددهم على عدد مسلمي البلدين المسلمين، بل إنهم يعتبرون من ناحية العدد ثاني أكبر تجمع للمسلمين في العالم بعد دولة إندونيسيا. وحكومة الهند علمانية من حيث الدستور، مؤسساتها التعليمية الحكومية علمانية، أما التعليم الديني فينظمه كل المجموعات الدينية بنفسها، وتتفق عليه من عندها. من هنا أقام المسلمون مدارس ومراكز إسلامية أهلية للحفاظ على هويتهم الإسلامية وللحفاظ على أبنائهم من الذوبان في ثقافة الهندوس وغيرهم.

ثم إن المسلمين منقسمون إلى طوائف وفرق. فمنهم سنة وشيعة. ثم السنة منقسمون إلى: السلفية والديوبندية والبريلوية. فلكل مجموعة من هذه المجموعات مدارسها ومساجدها. وكان لأهل الحديث أو السلفيين مدارس عديدة في الهند. ولكنهم كانوا يرغبون في إنشاء جامعة مركزية تكون بمثابة الأم لجميع المدارس، وتضاهي جامعات بقية الطوائف في أنشطتها المتنوعة وأعمالها الواسعة. وكانت جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند تمثل جميع المنتسبين إلى جماعة أهل الحديث.

فأخذ مسؤولوها على عواتقهم مسؤولية إنشاء هذه الجامعة، وبعد اجتماعات وقرارات وضع حجر الأساس للجامعة في عام ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م. وبعد إكمال المرحلة الأولى من البناء والتعمير افتتحت الدراسة فيها عام ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

وهذه الجامعة في رحلتها الطويلة في نصف قرن وفقت لإنجاز أعمال كبيرة ولله الحمد، فقد خرجت آلاف الدعاة والمدرسين والباحثين، وأصدرت مئات الكتب باللغات العربية والأردية والهندية والانجليزية، وهي تصدر مجلتين شهريتين: إحداهما باسم "صوت الأمة" باللغة العربية، والثانية باسم "محدث" باللغة الأردية، وعقدت عديدا من الندوات والمؤتمرات العالمية والإقليمية حول موضوعات مهمة، وقد زارها كبار الشخصيات العالمية بمن فيهم أئمة الحرمين الشريفين ورؤوساء الجامعات في العالم الإسلامي. وتتبعها نحو (٣٠) مدرسة ثانوية من مختلف مناطق وولايات الهند وهي تعتبر فروعا لها.

وقد ساهم كبار علماء أهل الحديث في الرقي بهذه الجامعة وتفعيل أنشطتها وتطوير أعمالها. ومنهم صاحب ترجمتنا الشيخ عبيد الله الرحماني، ومنهم الشيخ عبد الوحيد السلفي البنارسي، والشيخ مختار أحمد الندوي، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري، والدكتور مقتدى حسن الأزهري، والدكتور رضاء الله المباركفوري، والشيخ عبد الحميد الرحماني، رفع الله درجاتهم في أعلى عليين.

والشيخ عبيد الله الرحماني انتخب أول رئيس للجامعة، وظل على هذا المنصب إلى يوم وفاته: ٢٢ / رجب ١٤١٤ هـ = ٥ / يناير ١٩٩٤م. ومسقط رأسه مباركفور يبعد عن مقر الجامعة أي من مدينة بنارس بنحو (١٠٠) كيلومتر. ووسيلة قطع هذه المسافة هي الحافلات العامة أو السيارات الجماعية، وهي تقطع هذه المسافة في ثلاث ساعات أو أكثر . ووسائل المواصلات المباشرة بين المدينتين كانت ولا تزال قليلة، والراكب يضطر في الغالب إلى التحول من سيارة إلى أخرى في وسط الطريق أي في مدينة أعظم كره.

كان رحمه الله يكثر الترداد إلى مدينة بنارس رغم الظروف الصعبة، ولم يكن الباعث على ذلك إلا الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بصفته رئيسا للجامعة، مع العلم بأن الأمين العام هو الذي يتولى إنجاز الأعمال المتنوعة للمؤسسة، أما الرئيس فيعتبر مشرفا عاما، لا يناط به مسؤوليات تذكر. ومع ذلك كان رحمه الله كثير الاهتمام بالجامعة وخاصة بشؤونها التعليمية والتربوية، وكان يراقب على أنشطتها عن كثب، ويكون مطلعا على ما يجري في ساحتها، ويمد المسؤولين والمدرسين والموظفين بتوجيهاته ومقترحاته. وتضم رسائله المطبوعة الموجهة إلى بعض العلماء كثيرا من هذه التوجيهات، كما أنها تشتمل على أحاسيسه ومشاعره نحو هذا الصرح العلمي والدعوي.

وقد سبق أن ذكرنا أن إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية هي التي قامت بطبع تأليفه الشهير مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح في تسع مجلدات، كما أنها تولت بطبع الترجمة العربية لكتاب والده "سيرة الإمام البخاري" إلى جانب بعض رسائله وكتيباته.

**هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند:**

كان المسلمون في الهند – كبقية الطوائف الدينية – يلتزمون بالعمل بموجب تعاليم دينهم في الأحوال الشخصية والأنظمة العائلية مثل النكاح والطلاق والعدة والنفقة والهبة والوقف الخ حتى إبان سيطرة الإنجليز على البلاد. وبعد استقلال الهند من براثن الاحتلال تقرر أن تبقى دولة الهند علمانية لا تمت إلى أي ديانة بصلة، والمسلمون استمروا في العمل بتعاليم شريعتهم في الشؤون العائلية، وينظر في قضاياهم العائلية والشخصية في المحاكم الحكومية بموجب القوانين الإسلامية. وليست هذه الحرية خاصة بالمسلمين، بل هي متاحة لأتباع جميع الديانات.

وبعد نحو عقدين من استقلال البلاد ظلت الأصوات ترتفع من قبل بعض الوزراء والمسؤولين في الحكومة ومن قبل بعض المخدوعين من المسلمين "المتنورين" بفرض

قوانين عائلية موحدة على جميع سكان البلاد بمن فيهم المسلمون أيضا. فشعر قادة المسلمين من أهل العلم والدعوة بهذا الخطر، وشمروا عن ساعد الجد لمنع أي محاولة للتدخل في القوانين الإسلامية واستدالها بالقوانين الوضعية. وتولدت حركة على مستوى الهند لهذا الأمر، ساهم في إنشائها جميع الفرق والمجموعات الإسلامية بغض النظر عن انتمائها وولاءها، بما فيها جمعية أهل الحديث، حتى أعلن في اجتماع حاشد في مدينة حيدر آباد في ابريل ١٩٧٣م عن تنظيم هيئة مستقلة باسم "هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند" (All India Muslim Personal Law Board) .

ومن ذلك الوقت، وقد مضى على تأسيسها أكثر من أربعة عقود تعمل هذه الهيئة بكل جدية ونشاط للحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي الهند عبر لجانها المتعددة وأقسامها المتنوعة، وهي أقوى المنظمات الإسلامية الهندية التي تمثل كافة الجماعات والفرق الإسلامية حتى الشيعة.

وقد انتخب العلامة عبيد الله الرحماني رحمه الله نائب رئيس للهيئة وقت تأسيسها كممثل لجماعة أهل الحديث في الهند، وظل على هذا المنصب إلى أن أقعده الأمراض المختلفة، وعجز عن ممارسة الأعمال العلمية والدعوية، فقدم استقالته عن منصبه وعن عضويته في الهيئة. ولكن الهيئة أبقت عضويته إلى حين وفاته رحمه الله. وقد انتخب الشيخ مختار أحمد الندوي نائب رئيس الهيئة بعد الشيخ رحمه الله. ومن علماء أهل الحديث الذين يتمتعون حاليا بعضوية الهيئة الشيخ عبد الوهاب الخلجي، والشيخ رضاء الله عبد الكريم المدني، والشيخ عبد الله سعود السلفي، والدكتور فضل الرحمن المدني، وقد انتخب كاتب هذه السطور أيضا عضوا للهيئة في عام ٢٠٠٨م.

(يتبع)

❖❖❖

# حكم تلقين الميت

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري
تعليق: الشيخ محمد أسلم المدني

**السؤال:** ما قولكم – أيها العلماء الكرام – في مسألة قراءة التلقين بعد دفن الميت عند قبره، كما يفعله الناس اليوم، هل هو سنة أو جائز أو بدعة؟ بينوا بالكتاب والسنة، جزاكم الله خير الجزاء.

**الجواب:** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أما بعد: فاعلم أن تلقين الميت في قبره بعد الفراغ من دفنه، لا يجوز فعله عندنا، لأنه لم يرد فيه حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. أما حديث سعيد بن عبد الله الأودي عن أبي أمامة عند الطبراني في الكبير الذي أشار إليه أخي في الله الفاضل عبد القدوس[1]، فقد قال صاحب المنار: إن حديث التلقين هذا، لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه. سبل السلام (٢ / ١٦٠). ولو قطعنا النظر عن قول صاحب المنار وتنزلنا، فلا شك أنه ضعيف جدا، لأن في سنده مجاهيل.

قال الهيثمي بعد ذكره: رواه الطبراني في الكبير، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم. (مجمع الزوائد: ٣ / ٤٨).

وقال صاحب الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور (كتاب نادر في جزئين كبيرين على منوال الجامع الصغير للسيوطي، محفوظ في خزانة الكتب للمدرسة الرحمانية بدهلي) بعد سياقه وعزوه إلى المعجم الكبير للطبراني: "وفيه من لا يعرف". انتهى.[2]

فلا يلتفت بعد تحقق ضعفه ووهنه إلى قول الحافظ في التلخيص[3]: "إسناده صالح"، ولا إلى تقوية الضياء له، ومع ذلك هو مخالف ومعارض لما صح عن عثمان،

---

[1] الفتلي، السيلوني.
[2] (١ / ٤٦).
[3] (٢ / ١٣٦).

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإه الآن يسأل. أخرجه أبوداود وصححه الحاكم [١]، فإنه لو كان تلقين الميت في قبره بعد الفراغ من دفنه يفيده ويكفيه، كما يدل على كفايته لفظ حديث أبي أمامة، لاكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقين والأمر به، ولم يأمر الصحابة بالاستغفار للميت وسؤال التثبيت له، لأنه لاطائل في الاستغفار وسؤال التثبيت له، مع كون التلقين كافيا ولا حاجة إليه بعد التلقين.

فإن قال قائل: اتفقوا على أنه يجوز بل يستحب العمل بالحديث الضعيف، كما صرح به الأصوليون في كتبهم، فلا بأس بالتلقين عملا بالحديث المذكور؟ وأيضا الحديث الضعيف أولى وأقوى من رأي الرجال؟ قال الإمام أحمد: الحديث الضعيف أحب إلي من الرأي.

وزعم ابن حزم [٢] أن جميع الحنفية على أن مذهب إمامهم أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس.

قلنا: أولا إن المذاهب في الأخذ بالضعيف واعتماد العمل به ثلاثة:

الأول: لا يعمل به مطلقا، لا في الأحكام ولا في الفضائل. حكاه ابن سيد الناس في عيون الأثر (١ / ١٥) عن يحيى بن معين، ونسبه في فتح المغيث (١ / ٣٣٣) لأبي بكر بن العربي، والظاهر أن مذهب البخاري ومسلم ذلك أيضا، يدل عليه شرط البخاري في صحيحه وتشنيع الإمام مسلم على رواة الضعيف [٣] وعدم إخراجهما في صحيحيهما شيئا منه. وهذا مذهب ابن حزم حيث قال في الملل والنحل: "ما نقله أهل المشرق والمغرب، أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن في الطريق رجلا مجروحا بكذب أو غفلة، أو مجهول الحال، فهذا يقول به بعض المسلمين، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ منه بشيء منه" انتهى[٤].

---

[١] أخرجه أبوداود (٣٢٢١) والبيهقي (٤ / ٥٦) وصححه الحاكم في مستدركه (١ / ٣٧٠) ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢ / ٦٢٠) وفي أحكام الجنائز (ص ١٩٨).

[٢] الإحكام (٧ / ٥٤) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وانظر: إعلام الموقعين (١ / ٧٧).

[٣] مقدمة صحيح مسلم (١ / ٦٠ – ٦١) بشرح النووي.

[٤] الملل والنحل (٢ / ٨٣).

الثاني: أنه يعمل به مطلقا.

قال السيوطي: وعزى ذلك إلى أحمد [١] وأبي داود، لأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال [٢].

الثالث: يعمل به في الفقه [٣] بشروطه الآتية، وهذا هو المعتمد عند الأئمة.

قال ابن عبد البر: أحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى ما يحتج به [٤].

وقال الحاكم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: إذا ورد الخبر، لم يحرم حلالا ولم يحل حراما ولم يوجب حكما، وكان في ترغيب أو ترهيب أغمض عنه وتسوهل في روايته [٥]. ولفظ ابن مهدي فيما أخرجه البيهقي في المدخل: إذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب، سهّلنا في الأسانيد، وتسامحنا في الرجال [٦]. ولفظ أحمد في رواية الميموني عنه: الأحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها، حتى يجيء شيء فيه حكم [٧]. وقال في رواية عباس الدوري عنه: ابن اسحاق رجل نكتب عنه هذه الأحاديث يعني: المغازي ونحوها. وإذا جاء الحلال والحرام أرُونا قوما هكذا، وقبض أصابع يده الأربع [٨].

---

[١] قال ابن علان في الفتوحات الربانية (١ / ٨٦) ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل من العمل بالحديث الضعيف مطلقا، حيث لم يوجد غيره وأنه خير من الرأي حمل الضعيف فيه على مقابل الصحيح على عرفه وعرف المتقدمين إذا الخبر عندهم صحيح وضعيف، لأنه ضعف عن درجة الصحيح، فشمل الحسن، وأما الضعيف بالاصطلاح المشهور، أي: ما لم يجمع شروط القبول، فليس مرادا. نقله ابن العربي وهو حسن يندفع به ما ذكره من الكلام في هذا الإمام. انتهى.

[٢] تدريب الراوي (١ / ٢٩٩).

[٣] كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

[٤] التمهيد (٦ / ٣٩)، وانظر: فتح المغيث (١ / ٣٣٢) وقواعد التحديث (ص ١١٤).

[٥] انظر: الكفاية (ص ١٣٤) وأصول مذهب الإمام أحمد (ص ٢٧٣) والأجوبة الفاضلة (ص ٥٠).

[٦] لم أقف عليه في المدخل، وذكر الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في تحقيقه على هذا الكتاب (١ / ١١٩) أنه من النصوص المفقودة، وذكره الحاكم في المستدرك (١ / ٤٩٠) وانظر: تدريب الراوي (١ / ٢٩٨) وأصول مذهب الإمام أحمد (ص ٢٧٣) والأجوبة الفاضلة (ص ٥٠).

[٧] الكفاية (ص ١٣٤) والأجوبة الفاضلة (ص ٥١).

[٨] ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر (١ / ١٢)، وانظر: الفتاوى لابن تيمية (١٨ / ٦٥).

أما شروط قبول الحديث الضعيف عند المحققين، فقال السيوطي في التدريب ([1]) "لم يذكره ابن الصلاح ([2]) والنووي لقبوله سوى هذا الشرط كونه في الفضائل ونحوها، وذكر لها الحافظ ابن حجر ثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بكذب، ومن فحش غلطه، نقل العلائي الاتفاق عليه.

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط. ([3])

وكذا قال صاحب الدر المختار وابن عابدين الشامي في رد المحتار (١ / ١٣٣).

وقال الزركشي: الضعيف مردود ما لم يقتض ترغيبا أو ترهيبا، أو تتعدد طرقه، ولم يكن المتابع منحطا عنه. انتهى.

وقال السيوطي: ويعمل بالضعيف – أيضا – في الأحكام إذا كان فيه احتياط. تدريب الراوي (١ / ٢٩٩).

إذا عرفت هذا كله، فاعلم أن حديث أبي أمامة المذكور لم يوجد فيه أمر من الأمور التي اعتبرها من يعتمد به من المحدثين بقول الضعيف، ولم يتحقق فيه شرط من الشروط التي شرطها المحققون للأخذ به، فإنه ليس فيه فضيلة عمل من فضائل الأعمال، بل فيه حكم وأمر بالتلقين وإيجاب له، فلفظه على ما ذكره الأمير اليماني في السبل، والهيثمي في مجمع الزوائد: إذا مات أحد من إخوانكم، فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل يا فلان بن فلانة .... الحديث.

فهذه – كما ترى – صيغة أمر، والأصل في الأمر: الوجوب على ما هو المشهور عند الأصوليين، وإن كان فيه كلام عندي، والوجوب والاستحباب حكم من الأحكام، وهو مع ذلك ضعيف شديد الضعف، لأن في سنده جماعة لا يعرفون، وليس

---

[1] تدريب الراوي (١ / ٢٩٨ – ٢٩٩).

[2] مقدمة ابن الصلاح (ص ٤٨).

[3] انظر: تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب (ص ٢٣ – ٤٦) بتحقيق طارق عوض الله، والقول البديع للسخاوي (١٩٥) طبع الهند، و (ص ٢٥٨) وتدريب الراوي (١ / ٢٩٨ – ٢٩٩) والباعث الحثيث (ص ٨٦) وصحيح الجامع (١ / ٥٢ – ٥٣) وصحيح الترغيب والترهيب (١ / ٤٨) والأجوبة الفاضلة (٤٠ – ٤١).

هو داخلا تحت أصل عام معمول به. ولا هو مروي بطرق متعددة وأيضا العاملون به لا يعتقدون الاحتياط، بل يعتقدون سنية العمل به، وأيضا الأخذ بالحديث الضعيف إنما هو إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، كما صرح به الإمام ابن القيم – رحمه الله – وقد علمت فيما تقدم أن حديث أبي أمامة هذا، يدفعه ما صح عن عثمان رضي الله عنه، عند أبي داود.

فتحصل من جميع هذا أن الحديث المذكور لا يصلح للعمل والأخذ به، فلا يعمل به.

وثانيا: أنه لا شك في أن الحديث الضعيف أقوى من الرأي عند الإمام أحمد [1] وصاحبه أبي داود صاحب السنن وغيرهما بناء مذهب أبي حنيفة على ذلك. لكن ليس الراد بالضعيف في قولهم: ما كان شديد الضعف، بل المراد ما صرح به ابن القيم في إعلام الموقعين (١ / ١١) حيث ذكر أصول الإمام أحمد في فتاويه، قال: الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده هو الباطل ولا المنكر، ولا ما في روايته متهم بالكذب، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه في العمل به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى حسن وصحيح وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف. وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب، ولا إجماعا على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس. وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة، فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدم الضعيف على القياس.

وقال – أيضا – في موضع آخر (١ / ٢٧): فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على الرأي والقياس (هو) قول أبي حنيفة وقول الإمام أحمد، وليس المراد بالحديث الضعيف في اصطلاح السلف هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين، بل ما يسميه المتأخرون حسنا، قد يسميه المتقدمون ضعيفا، كما تقدم بيانه.

---

[1] ذكره عبد الله بن أحمد، انظر: إعلام الموقعين (١ / ٧٦) والأجوبة الفاضلة (ص ٤٧) وأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص ٢٧٤).

وقال شيخه الإمام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ / ١٩١ – ط بولاق) ([1]) ما نصه:

وأما نحن فقولنا أن الحديث الضعيف خير من الرأي، ليس المراد به الضعيف المتروك، لكن المراد به الحسن، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحديث إبراهيم الهجري ([2]) وأمثالهما ممن يحسن الترمذي حديثه أو يصححه وكان الحديث في اصطلاح من قبل الترمذي إما صحيح وإما ضعيف. والضعيف نوعان: ضعيف متروك، وضعيف ليس بمتروك، فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح، فجاء من لا يعرف إلا اصطلاح الترمذي، فسمع قول بعض الأئمة الحديث الضعيف أحب إليّ من القياس، فظن أنه يحتج بالحديث الذي يضعّفه، مثل الترمذي، وأخذ يرجح طريقة من يرى أنه أتبع للحديث الصحيح، وهو في ذلك من المناقضين الذين يرجحون الشيء على ما هو أولى بالرجحان منه إن لم يكن دونه. انتهى.

وحديث أبي أمامة الذي دار النزاع في جواز العمل به بيننا، ضعيف شديد الضعف، وليس من أقسام الحسن، ومع ذلك مناقض لما رُوي عن عثمان مرفوعا فلا يصدر إليه، فإن احتج محتج بأنه سلمنا أن حديث أبي أمامة هذا ضعيف، لكنه عضده عمل طائفة من الصحابة كأبي أمامة الباهلي وغيره، كما صرح به ابن تيمية في فتاواه ([3]). والحديث الضعيف إذا اعتضد باتصال عمل يعمل به، لاسيما في فضائل الأعمال، كما يرشد إليه ظاهر كلام أبي الحسن بن القطان؟

قلنا: لم ينقل عن أحد من الصحابة بسند صحيح أنه فعل هذا التلقين، أو أمر به، أو رخص فيه. وأما ما رُويَ عن أبي أمامة أنه قال: إذا أنا مِت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نصنع بموتانا .. الخ. فتقدم أنه ضعيف شديد الضعف.

---

[1] (٤ / ٣٤١ – ٣٤٢، بتحقيق الدكتور رشاد سالم).

[2] إبراهيم الهجري هو ابن مسلم العبدي، أبو اسحاق، لين الحديث، رفع موقوفات، كذا في التقريب للحافظ ابن حجر (٢٥٤) وقال الشيخ ابن باز: هذه العبارة فيها تساهل، والصواب أنه ضعيف لا يحتج به، لأن البخاري وأبا حاتم الرازي والنسائي قالوا فيه منكر الحديث، وضعفه الآخرون من الأئمة كما في التهذيب (١ / ١٦٤).

[3] (٢٤ / ٢٩٦، ٢٩٩) وقال: وروي فيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مما لا يحكم بصحته ولم يكن كثير من الصحابة يفعل ذلك، وقال ابن القيم في الزاد (١ / ٥٢٣) "حديث لا يصح رفعه".

وأما أثر ضمرة بن حبيب عند سعيد بن منصور الذي ذكره الفاضل المجيب، فليس بصريح ولا بظاهر في أن المستحبين هم الصحابة، بل الظاهر أنه أراد بهم أشياخه من أهل حمص، وأيضا لم يذكر الحافظ إسناده، حتى ينظر فيه هل هو صالح أم لا. ومجرد ذكره في التلخيص (١) أو في كتاب من كتبه، ليس دليلا على صلاحه للاحتجاج، كما لا يخفى على من أمعن النظر في التلخيص أو الفتح، ولو سلم أنه فعله طائفة من الصحابة، فلا شك في أنه لم يذهب إليه، ولم يقل به كثير من الصحابة، كما صرح به أيضا ابن تيمية في فتاواه: أنه لم يفعله كثير من الصحابة.

وقال الإمام الشافعي في كتاب الرسالة القديمة: إذا قال الرجلان منهم في شيء قولين مختلفين، نظرت، فإن كان قول أحدهما أشبه بكتاب الله تعالى، أو أشبه بسنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت به، لأن معه شيئا يقوى بمثله، ليس مع الذي يخالفه مثله (٢).

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب: فإن اختلف الحكام (من الصحابة) استدللنا بالكتاب والسنة في اختلافهم، فَصِرنا إلى القول الذي عليه الدلالة من الكتاب والسنة. وقلما يخلو اختلافهم من دلائل كتاب أو سنة. وإن اختلف المفتون يعني من الصحابة بلا دلالة، فيما اختلفوا فيه نظرنا إلى الأكثر (٣). انتهى بقدر الحاجة.

وقد علمت فيما تقدم أن قول كثير من الصحابة الذين لم يقولوا بالتلقين أشبه بحديث عثمان، فيؤخذ بقولهم، ولا يؤخذ بقول الطائفة الذين رخصوا في التلقين، لأنه ليس معهم شيء مثل الذي مع الكثير من الصحابة الذين لم يقولوا بالتلقين.

وحاصل الكلام وجملته: أن العمل بالتلقين المذكور مكروه غير جائز، يجب الاجتناب منه لعدم ورود حديث صحيح ثابت فيه، ولعدم مجيء أثر قوي صالح فيه، ولا يغتر بكثرة من يفعله من الشافعية والحنابلة، فإن الحق أحق أن يتبع.



---

(١) التلخيص الحبير (٢ / ١٣٦) وبلوغ المرام (٦٠٦) ونسبه إلى سعيد بن منصور موقوفا.

(٢) انظر: المدخل إلى السنن الكبرى (١ / ٤٥) رقم النص (٣٨).

(٣) المصدر السابق (١ / ٤٥)، رقم النص (٣٩).

سفر الحج

# المسافرون إلى اللّه تعالى

د. لطف اللّه ملا خوجه

الحياة سفر، والناس فيها مسافرون، والغاية واحدة: الآخرة. والمنزل اثنان: جنات عدن، ونار جهنم.

كل الناس سائرون إلى الدار الآخرة، بغير اختيارهم .. إنما خيارهم في الطريق:

فمنهم من يلزم طريق الجنة، فيتخذ: أركانه، وواجباته، وسننه.

ومنهم من يلزم طريق النار، فيتخذ: سبيله، وموجباته.

قال اللّه تعالى: {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا. ويصلى سعيرا. إنه كان في أهله مسرورا. إنه ظن أن لن يحور. بلى إن ربه كان به بصيرا}.

وفي الناس غفلة مترسخة، حكى اللّه تعالى عنها، فقال: {اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم}.

فلا يذكرون سفرهم هذا، ولا مآلهم، وقد يرون الميت بين أيديهم، فلا تتحرك قلوبهم بذكر ولا موعظة..!!

وقد مضت سنة اللّه تعالى في عباده: أنه يذكرهم، رحمة بهم، وبلاغا، ولعلهم يتقون.

فأقام لهم العلامات، ونصبها لهم، لتكون عونا، وتذكرة، فيستذكرون ما هم فيه من رحلة، تمضي ولا تقف، تحصي الأعمار، وتجتزئ منها فلا تكل ولا تمل، فمن تلك العلامات: الحج.

للحج أركان، وواجبات، وسنن، فأركانه، الإحرام: والوقوف بعرفة، وطواف الإضافة، وسعي الحج.

هذه الأربعة أركان الحج، من دونها لا يصح الحج:

فبدون الإحرام، لا يحصل الدخول في النسك أصلا.

وبدون الوقوف بعرفة، لا يحصل اللحاق بالحج، وعليه التحلل بهدي وعمرة، والحج من قابل.

وبدون الطواف، لا يتم الحج، ويبقى عليه التحلل الثاني، لا يحل له الجماع، حتى يأتي به.

وبدون السعي، لا يتم الحج، ويبقى في الذمة حتى يأتي به.

والحج سفر أصغر، هو مثال للسفر الأكبر: سفر الحياة الدنيا إلى الآخرة، لكنه سفر المؤمن، المتخذ طريق الجنة، دون سفر المتخذ طريق النار.

فكما أن سفر وشعيرة الحج لا تتم إلا بهذه الأركان، فكذلك سفر الدنيا، والقدوم على الله تعالى، ودخول جنات عدن لا تتم إلا بأركان أربعة مثلها:

**أركان السفر إلى الجنة:**

فالأول: الموت على الإسلام، فبدونه لا يحصل الانتقال، من دار الدنيا إلى دار الآخرة، والدخول إلى الجنة، قال تعالى: {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}.

- ومثاله الإحرام، فما أشبه الإحرام بالموت على الإسلام:
- ففي كليهما يقر الإنسان بالشهادة لله: المحرم يلبي: "لبيك اللهم لبيك"، والميت يلقن الشهادة: "لا إله إلا الله".
- ففي كليهما التجرد من الثياب، والكفن في ثياب بيضاء، غير مخيطة، يلتف بها الإنسان.
- وفي كليهما التطهر، والتنظف، والاغتسال، والتطيب.
- وفي كليهما صلاة تصلى تقربا إلى الله تعالى.

والفرق أن في الإحرام يفعل المحرم كل ذلك بنفسه، أما في الموت فيفعل به كل ذلك إخوانه المؤمنون.

فالإحرام يذكر الحاج مآله ومصيره، في هذه الحياة، كيف يخرج منها من دون شيء، فارغا، إلا من كفنه، وكيف يلقى بيت الله عز وجل مخالفا عادته في الزي، فكذلك يلقاه في زي مخالف لعادته.

والبقاء في الإحرام طيلة حجه، يذكر بهذا الحال غير المعتاد، ليفهم أنها آتية لا ريب، وأن الإعداد لها بعدة تخفف عنه هول ما يستقبل: واجب، كوجوب الإعداد للحج بعدة تخفف من وعثاء السفر.

الثاني: التوبة والاستغفار. فبدونها لا يفوز المرء بالجنة، لأن الخطيئة تحيط به من كل جهة، ولا يسلم منها، فإذا لم يحرقها بالتوبة والاستغفار أحاطت به. قال تعالى: {بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}.

لكن التوبة والاستغفار تفك قيد الخطيئة، وتكسر أغلاله، لينفذ المؤمن إلى رضوان ربه، كما قال تعالى: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين}. ومثالها الوقوف بعرفة في الحج:

- فالوقوف بعرفة: وقوف بباب المولى بطلب الصفح، والعفو، والمغفرة، يمكث الناس طيلة النهار وجزءا من الليل، يستغيثون المولى جل شأنه: أن يتجاوز عنهم، ويعاملهم بفضله وكرمه، وأن لا يؤاخذهم بما ركبوا، وجنوا، واجترحوا. والله تعالى يستجيب لهم في هذا الموقف، فيقول لملائكته: (انظرو إلى عبادي: آتوني شعثا، غبرا، أشهدكم أني قد غفرت لهم).
- (والحج عرفة)، أي أعظم ركن فيه، فمن فاته فلا حج له، وبدون الاستغفار والتوبة يفوت ثواب الرب ورضاه، ويحل غضبه وسخطه. قال تعالى:
- {وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون}، فهؤلاء المنافقون، كان سبب هلاكهم استكبارهم عن الاستغفار والتوبة.
- {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}.

- وقال تعالى: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، فكان سبب امتناع عذابهم استغفارهم.
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب عذاب عبد الله بن جدعان ودخوله النار: (إنه لم يقل يوما من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

فالوقوف بعرفة يذكر بالتوبة والاستغفار الدائمين، ولزوم الباب حتى يفتح بالرحمة والرضوان، ورفع الغضب والهوان، فمن أطال قرع الباب فتح له، ومن صبر نال الخير .. والحاج يصبر ساعات النهار والليل يطلب الصفح، والعفو، والمغفرة، فكذلك المسافر، المبتغي جوار الرب في الدار الآخرة.

الثالث: تعلق القلب، وملازمة الذكر. فما وصل ولا اتصل، إلا من فرغ قلبه لذكره، وتعلق به حبا، وشوقا، وأنسا، فشرط الإيمان تعلق القلب بالله تعالى، وهو محبته. قال تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله}.

والمؤمنون هم الذاكرون، كما قال تعالى: {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ..}.

ومثاله الطواف بالبيت:

- فالطواف لف ودوران، وهو حال المؤمل، المتقرب، المحب، المشتاق: يدور حول محبوبه: منزله، وآثاره. المرة تلو المرة، لا يمل، ولا يتعب، ولا ينصرف، حتى ينعم بكلامه، ونظره، ورضاه.
- وفي الطواف يكون الذكر والاستحضار الدائم لمن يطوف له، حيث يفرغ القلب إلا منه، والعقل إلا من التفكر فيه، وفي آلائه، وهو حال الذاكرين الله تعالى كثيرا والذاكرات.

فالطواف عبادة تذكر بأصل الدين ولبه، وهو محبة الله تعالى وذكره، فيطوف حبا، وشوقا، وذكرا. ويتعلم أن هذا هو حال المؤمن في الدنيا، لا يقدم شيئا على مولاه، لا حبا، ولا ذكرا، وهذا حقيقة التلبية:

- (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).

والتي تقال عند الإحرام، ويوم التروية، وعرفة، ومزدلفة، حتى رمي جمرة العقبة يوم العيد، فإن "لَبّ" من قولهم: ألب بالمكان، إذا أقام به والتزمه، ومعناه: أنا لازم لك، ومتعلق بك، لزوم الملب بالمكان، مقبل إليك. فقول: لبيك، أي أقبلت إليك، وتوجهت إليك، وانقدت لك.

الرابع: الإخلاص والاستقامة على الطاعة: فالجنة لا يدخلها إلا المخلصون، العاملون على استقامة، كما قال تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}، وقال في العمل: {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}، وقال في لزوم الاستقامة: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}، وهذا مثاله السعي بين الصفا والمروة:

- فالسعي يكون جيئة وذهابا مرات. وهكذا المخلص يطلب القبول، إن لم يكن في الأولى ففي الثانية، والثالثة.
- والسعي على استقامة. وهكذا طريق الجنة في الدنيا صراط مستقيم غير معوج.
- والسعي فيه طول وصعود ونزول. وهكذا الطريق طويل وشاق، فسلعة الله غالية.
- والسعي فيه سعي شديد بين العلمين. وهكذا الطريق يحتاج إلى مسارعة ومسابقة، في بعضه.

فإذا سعى استدل بسعيه على الطريق، ووصف الطريق، من: إخلاص، واستقامة، وعمل، ومن معنى التلبية: "لبيك اللهم لبيك": أنا مقيم على طاعتك، ولازمها، لا أبرح عنها.

وهكذا فلا يجتاز سفر الحج، إلى القبول، والثواب، والخروج من الذنوب كيوم ولدته أمه، كما في الأثر، إلا بفعل هذه الأركان الأربعة، فكذلك لا يجتاز سفر الدنيا، إلى جنة المأوى، إلا بفعل هذه الأربعة.

ثم يبقى فعل الواجبات، وترك المحظورات، وقد تسامح في ترك الواجب لعذر، وأوجب فدية، وتسامح في فعل المحظور: نسيانا، أو جهلا، أو اضطرارا وكرها. وجعل فيه الكفارة والفدية إذا كان عمدا، وهكذا الأمر في السفرين. فما أشبه سفر الحج

بسفر الحياة، وما أسعد من اتعظ، وفهم المعنى، وأدرك المغزى، وما أنزل القرآن إلا للتدبر، والتفكر، قال تعالى:

- {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب}.
- {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}.
- الأصل الأكبر:

والأصل الأكبر في السفرين: توحيد الله تعالى. هذا الذي أرسلت به الرسل، ونزلت به الكتب، وخلق الله الخلق لأجله، ومايز بين الناس به، وحرم به الدم، والمال، وأدخل به الجنة، هو: إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، ونبذ الشرك، وطرائق الشرك، سواء كان عبر الشفاعة، أو التوسل، أو التبرك.

هذا الذي يؤمر به الناس في حياتهم، كي يحصلوا ثواب الله تعالى، ويجتنبوا عقابه، منذ البلوغ حتى الممات، كما قال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}، فإذا جاء الحج أكد هذا الأصل بشعائره، ورسخه في النفوس، ورباهم عليه بالمظاهر التالية:

- الأول: التلبية. فقد كان المشركون في حجهم يلبون فيقولون: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك"، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، ومنع هذا الشرك، وأمر الناس أن يقولوا في تلبيتهم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، فهذا شعار التوحيد وكلمته، يردده الحجاج منذ إحرامهم، وسائر أيامهم.
- الثاني: القصد. فإن الحج يقصد لوجه الله وحده، لا لأجل فلان وفلان، لا نبي ولا صالح، يخرج الحاج من بلده وأهله، لا يبتغي إلا الله تعالى وحده، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل في قصده، فليس من شروط الحج، ولا من واجباته، زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم. لكنها من المستحبات عموما.
- الثالث: الأعمال. كل أعمال الحج تجرى لله تعالى، ليس لأحد حظ فيها، من الأول إلى الآخر: الإحرام، إلى المبيت بمنى، إلى الوقوف بعرفة، ثم المبيت بمزدلفة، ثم الطواف والسعي، ورمي الجمار.

- الرابع: الدعاء. كل الأدعية المأثورة في أعمال الحج أدعية خالصة لله تعالى، فيها التوحيد ونفي الشريك، كدعاء الصفا والمروة، كما قال تعالى: {فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا}، قال القرطبي: "قال ابن عباس وعطاء والضحاك والربيع: اذكروا الله كذكر الأطفال آباءهم، وأمهاتهم: أبه أمه، أي فاستغيثوا به، وألجئوا إليه، كما كنتم تفعلون حال صغركم بآبائكم. وقال طائفة: معنى الآية: اذكروا الله، وعظموه، وذبوا عن حرمه، وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غض أحد منهم، وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم".
- الخامس: لاحظ لمخلوق. ليس في الحج تبرك بمشاهد، أو أضرحة، أو قبور، أو أشخاص، وليس فيه دعاء غير الله تعالى، أو الاستغاثة به، أو التوسل، بل ليس للمخلوق منه إلا الإحسان، بدعاء وعون، فيشرع في الحج: الحج عن ميت، أو عاجز. أو عون ضعيف أو محتاج، فكل حظ للمخلوق في الحج فبالإحسان إليه، وليس فيه أدنى شيء يدل أو يحث على التبرك به، أو التوجه إليه، وقد كان المشركون في حجهم يتفاخرون بآبائهم، ويذكرونهم، فأمر الله تعالى المؤمنين بقوله: {فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا}، فأمرهم بذكر الله تعالى أشد من ذكر الآباء، ليعلمهم أن هذا موضع يعظم فيه الرب سبحانه وحده دون غيره. وهذا قول آخر في تفسير الآية.

ففي الحج يتعلم المرء التوحيد خالصا صرفا، ليرجع بعده فيكون كذلك في باقي أيامه، كما كان في حجه.

لما كان الحج عبادة تشمل أعمال: القلب، واللسان، والجوارح.
وكانت عناية الناس، في أغلبهم، منحصرة في أعمال: اللسان، والجوارح.
قصدت التذكير بالعمل الغائب: عمل القلب.
لتحصيل التمام والكمال، في التعبد والأجر.

❖❖❖

# من أخبار الجامعة السلفية بنارس

أكملت لجنة الاختبارات بالجامعة إجراءات القبول والتسجيل للعام الدراسي الجديد ٣٦ – ١٤٣٥ هـ = ١٥ – ٢٠١٤م، حيث عقدت اختبارات القبول في يومي الأحد والاثنين ١٣ – ١٤ / شوال المكرم ١٤٣٥ هـ = ١٠ – ١١ / أغسطس ٢٠١٤م، وأعلن عن الطلبة المقبولين. وكان القبول مقتصرا على قسم التجويد وقسم التحفيظ والسنة الأولى للمتوسطة والسنة الأولى للعالمية والسنة الأولى للفضيلة. وشارك في اختبار القبول الطلاب الذين قاموا بتعبئة الاستمارت التي تصدرها الجامعة. وبدأت الدراسة النظامية بالجامعة في يوم الأربعاء: ١٦ / شوال ١٤٣٥ هـ = ١٣ / أغسطس ٢٠١٤ م.

يجدر بالذكر أن الجامعة السلفية تنظم الدراسة في الأقسام والمراحل المذكورة، ويفد إليها عدد كبير من الراغبين في الالتحاق بها من مختلف مناطق الهند، ولضيق مباني الجامعة لا يقبل إلا عدد محدود من الطلاب كل سنة، ولا تتحقق أمنية الكثيرين للالتحاق. والمسؤولون يبذلون كل ما في وسعهم للتغلب على هذه المشكلة، وهناك عمارة تحت البناء تبعد عن الجامعة بنصف كيلومتر، يرجى أن يكتمل بناؤها في خلال ستة أشهر، ويتم نقل بعض الأقسام من المبنى المركزي إلى هذا المبنى الجديد بإذن الله تعالى.

وهناك نحو (٣٠) مدرسة في مختلف ولايات الهند تتبع الجامعة في مناهجها الدراسية وأنظمتها التعليمية، وتعتبر فروعا للجامعة، يدرس فيها الطلاب إلى السنة الثانية للثانوية، ثم ينتقلون إلى الجامعة لمواصلة الدراسة في مرحلة العالمية بعد اجتياز الاختبار بنجاح. والوضع الحالي لا يسمح لقبول جميع طلاب هذه المدارس في مرحلة العالمية فيقتصر القبول على المتفوقين منهم.

❖❖❖